الباب الخامس

في كونه تاسع السلاطين الترك وما فيه من البشارة له

اعلم أن مولانا السلطان الملك المؤيد ، وقع فى السلطنة تاسع السلاطين الترك الذين جُلِبُوا إلى الديار المصرية ؛ لأن أوّلهم السلطان الملك المعزّ أَيبَك ، والثانى السلطان الملك المظفّر قُطُز ، والثالث [السلطان][1] الملك الظاهر بِيبَرْس ، والرابع السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى ، والخامس السلطان الملك العادل كَتْبُغَا ، والسادس السلطان الملك المنصور لاَجِين ، والسابع السلطان الملك المظفّر بِيبَرس الجَاشْنَكِير ، والثامن السلطان الملك الظاهر بَرْقُوق ، والتاسع السلطان الملك المؤيّد شيخ [ابن عبد الله][2] ، والبشارة له فيه أنى تتبَّعْتُ جميع الدُّوَل التى كانت قبل الإسلام ، والدُّوَل التى كانت فى الإسلام ، فوجدت فى التى قبل الإسلام تسعَ دُوَلٍ عظام ، وكذا فى التى فى الإسلام تسع دول عظام ، ووجَدْتُ فى كل دولة منها تسعةً من الملوكِ الكبار ، ووجدتُ تاسعَ كلٍّ تسعة أَحسَنَهم وأكثَرَهم خيرا ، وأبسطهم عدلاً ، وأشدَّهم قوة ، وأعلاهم منزلة ، وأكثرَهم أمْنًا فى عسكَرِهِ وبلادِهِ ورعيَّتِهِ ، وأبعدهم من شر الأعداء والمنافقين ، وأوفرهم رزقًا ودخلاً ، وأخلاهم قلبًا من الهَمِّ ، وما يَجْلِبُ النَّكَد والتشويش من جهة العباد ؛ فلما كان هؤلاءِ كلهم على منوال واحد ، فكذلك

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للسياق .

(٢) موضع ما بين الحاصرتين فى الأصل — حروف لا تقرأ — وما أثبت عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٢ ط أمريكا

يكون مولانا السلطان المؤيّد ؛ لأَن ما ذكرنا صار كالقاعدة الكلية باعتبار وقوع كل منهم تاسعًا فنقول : هؤلاءِ موصوفون بهذه السَّعادات ؛ لأَن كلا منهم تاسع ، وكل تاسع موصوف بهذه الصفات ، فمولانا السلطان المؤيد أَيضًا تاسع ، فهو أَيضًا موصوف بهذه الصفات ، وهذا بالاستقراء ، وهو يفيد اليقين غالبًا ؛ لأَن الاستقراءَ عبارة عن إثبات حكم كُلِّى لِثُبُوتِهِ فى أَكثر الجزئيات ، وهو إمّا تام إن عُلِمَ حصر الجزئيَّات ، وهو الذى يسمى القياس المقسّم ، وهو يفيد اليقين على ماصُرّح به فى موضعه ، وإما غير تام إن لم يُعْلَم حصرُ الجزئيَّات على ماعرف فى موضعه ، وقياسُنا أَيضًا برهان لأَن مقدماته يقينية ؛ لأَن ماذكر عُلِم بالتواتر مِن أَهل النقل .

أَما الدُّوَل التسع العظام التى كانت قبل الإسلام ، فأَولها الأَكَاسِرَة ، والثانية القَيَاصِرَة ، والثالثة التَّبابِعَة ، والرابعة الفَرَاعِنَة ، والخامسة البَطَالِسة ، والسادسة النَّمَارِدة ، والسابعة القَحَاطِنَة ، والثامنة العَدَانِنَة ، والتاسعة المَنَاذِرَة .

أَما الأَكاسرة فهم كانوا أَعظم الملوك ، ودولتهم كانت أَعظم الدُّوَل ، وهم ملوك الفُرْس ، وهم على أَربع طبقات :

الأُولى يقال لها القيشدَاذيَّة ، يقال لكل واحد منهم قيشداذ ، ويعنون بهذه اللفظة أَوَّل سِيرةِ [٢٠] العَدْل ، وعدتهم تسعة مع جَيُومَرت .

وقال أَبو منصور[١] والفردوسى[٢] : أَوَّل من ملك الأَرض من الفرس جَيُومَرت ، ويقال كَيُومَرْث ، وقد سَخَّرَ الله له جميع الإِنس والجن وخصّه بمزيد القُوَّة ، وكان يسكن الجبال ، وهو أَول من لبس جلود السّباع ، وكانت مدة مملكته ثلاثين سنة .

الثانى : أَوْشَهْنَج وكانت مدة مملكتهْ أَربعين سنة ، وهو أَوَّلُ من رتَّب الملك ونظَّم الأَعمال ، ووضع الخَرَاج ، واستخرج المعادِن ، وقطع الحجر ، وأَول من استخرج النَّار والحديد من الحجر ، وسبب إِخراجه أَنه رأى ذات يوم فى شق جبل حيّة تتوقد حدقتها فأَخذ حجرًا ورماها به ، فأَخْطأَها ووقع الحجر على حجر آخر ، وخرجت منه نارٌ ، فأَعجَبَهُ ذلك فخرَّ لِلّه ساجدًا ، فاتَّخذ النار قِبْلَةً ، وهذا أَصل عبادة المجوس النَّار ، وهو الذى بنى مدينتى بابل والسُّوس ، وكان فاضلاً محمود السيرة ، وهو ابن كَيُومَرت وهو أَوْشَهْنَج بن سَيَامَك بن جَيُومَرت .

الثالث طَهْمُورَث[٣] بن أَوْشَهْنَج ، وهو أَول من كتب

---

(١) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد عبد الله البغدادى التميمى الاسفراييني . ولد ونشأ ببغداد وتوفى باسفرايين سنة ٤٢٠ هـ له كتب كثيرة منها الفاخر فى الأوائل والأواخر ولعله مصدر هذا الخبر .

فوات الوفيات ١ : ٢٩٨ طبقات الحنفية للسبكى ٣ : ٢٣٨ .

(٢) هو أبو القاسم حسن بن محمد الطوسى المعروف بفردوسى ، بغير أداة التعريف ، صاحب الشاهنامة المتوفى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٦ م) .

(٣) الضبط عن تاريخ ابن مسكويه ١ : ٨ وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١١ و ٣١٢ ط. بيروت .

بالفارسية ، وأول من علق الشعير على الجبل ، وأول من اتخذ الفهد والكلب . وفى أيامه ظهر تعليم الجَوَارِح للصّيد ، مثل البازى والشاهين ، وكانت مدة ملكه أربعمائة سنة .

الرابع : جَمْشِيذ ، وهو أخو طَهْمُورث ، ومعناه شعاع القمر لأنّ «جمّ» هو[1] القَمر ، و«شيذ» الشعاع ، سمّى به لأنه كان جميل الوجه ، وهو أول من أعدّ آلات الحرب ، مثل السّيف والرّمح والدِّرْع ، والجوشن[2] ، وغير ذلك . وهو الذى أمر الجنّ بِنَحْتِ الأَحجار ، وضرْب اللَّبِن ، وبناء القصور العالية ، والقلاع الشامخة . وفى زمانه اتَّخَذَ الملبوسَات من الثِّياب ــ وكانوا يلبسون جلود السّباع كما ذكرنا ــ فاتخذها من الكتّان والإبرِيسَم[3] ، وهو الذى استخرج علم الهندسة ، واستخرج معادن الذهب والفضة ، والياقوت ، والفيروزج ، وسائر الجواهر ، وأنواع الطِّيب من مستخرجاتها ، كالمِسْك ، والعنبر ، والكافور ، واستخرج الأَمواه[4] من أنواع الأَزاهير كالورد ونحوه . واتخذ المراكب والسُّفن وألقاها على وجه الماء .

الخامس : بَيُورَاسِب بن ريتكان[5] بن وَيذر شنك

---

(١) فى الأصل «فهو» .

(٢) الجوشن : الدرع .

(٣) الإبريسم : فارسية معناها الحرير .
«محيط المحيط»

(٤) الأمواه جمع ماء والمراد به هنا ما يحصل بالتقطير :

(٥) كذا رسمها وضبطها فى الأصل ــ وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١٣ ط. بيروت «رتيكان» براء مفتوحة وتاء مكسورة بعدها ياء .

ابن قار بن أَفَرْوَالِ بن جَيُومَرت ــ وهو الذى قتل جَمشيذ لَمَّا بدَّل سيرته ، وملك موضعه ، ويقال : الدهاك ، يعنى عشر آفات ، ثم عُرِّبَ وقيل : الضَّحاك ، وكان شِرِّيرًا ظالمًا ، فوضع العشور والمكوس ، واتَّخَذ المغنينَ وأَصحاب الملاهى ، وهو الذى ظهرت له حيَّتَان على منكبيه كما ذكرنا حتى غبر عليه أَلف سنة . وكان إبراهيم عليه السلام فى أَواخر أَيامه ، ولذلك زعم قوم أَنه نَمْرُود ، والصحيح أَن نَمْرُود كان عاملاً من عماله ــ والله أَعلم ــ

السادس : أَفْرِيدُون بن أَثغيان[1] من أَولاد جَمْشِيد ، وكان إبرٰهيم الخليل عليه السلام فى أَول ملكه . وقيل إنه ذو القرنين ، وسار فى الناس أَحسن سيرة ، وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة .

السابع : مَنُوجِهر وهو ابن أَخ أَفْرِيدُون ، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ، وهو أَوَّل من خندق الخنادق ، وأَول من وضع الدَهْقَنة[2] ، فجعل لكل قرية دهْقَانًا . وفى أَيامه ظهر موسى عليه السلام ، وفى أَيامه ظهر زالُ وَالدُ رُسْتُم الذى يضرب به المثل فى الشجاعة ، وزَالُ بن سام بن ريمان ، وأُم رستم رودابة بنت مهراب ملك الكابُل ، واسم أَم رودابة زوجة مهراب سين دخت .

(١) فى مروج الذهب للمسعودى ١ : ٢٢٤ « أثقابان » .

(٢) الدهقنة : فارسية معناها رئاسة الإقليم ، والدهقان : رئيس الإقليم . (محيط المحيط)

الثامن : نُودَرْ بنَ مَنوُجِهْر ، وفى أيامه ظهر أَفْرَاسِيَاب ملك التُّرك ابن بشتك[1] ، فجمع جموعًا من التُّرك ، وتلاقى مع نُودَرْ ، فآخِرُ الأَمرِ ظَفِرَ بِهِ وأَسَرَه ، واستولى على دار الملك ، وسرير السلطنة ، وهى الرّى . ولما سمع بذلك زال جَمْعَ الجموعَ وولى على الفرس زَوْ بن طَهْمَاسب ، فلما ملك زَوْ ظَهَرَ على أَفْرَاسِيَاب وطَرَدَهُ عن مملكة فارس حتى ردّه إلى بلاد التُّرك ، وسار بأَحسن السيرة ، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين حتى عمروا البلاد ، واستخرج للسّوَاد نهرًا وسمّاه الزّاب ، وهو أَول من اتّخَذ الطَّبِيخ وأَنواع الأَطعمة ، وفى أَيامه خرج بنو إسرائيل من التِّيهِ . وفتح يوشع عليه السلام مدينة أَريحَا ، وكانت مدة مملكته خمسين سنة ، وهو التاسع من الملوك القيشداذيّة :

[و][2] مولانا السلطان المؤيد — إن شاء الله تعالى — يظفر على جميع أَعدائه نحو زَوْ ، وتطول أَيامه بخير وسرور ؛ لأَنه التاسع من ملوك التُّرْكُمَان ، كما أَن زَوْ التاسع من القيشداذيّة .

الطبقة الثانية من الفُرْس يقال لهم الكيايِيَّة ، ويعرفون بذلك لأَنَّ اسم كل واحد منهم يضاف إلى « كَيْ » ومعناه البهاء[3] .

أَولهم : كيقُبَاذ من ذرية مَنُوجِهر ، وكانت مدة ملكه

(١) فى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١٥ عن الطبرى « أفراسياب بن أشك بن رستم بن ترك » .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ١ : ٣٩ « وكى لفظ للتنويه ، قيل معناه الروحانى ، وقيل الجبار » .

مائة سنة ، وكان قد تزوج امرأة من بنات ملوك التُّرك ، فولدت له خمسة أولاد وهم : كي دَافيا ، وكَيْ كَاوُس ، وكَيْ أَراس ، وكَيْ كبنه ، وكَيْ قَاسْين ، وهؤلاءِ هم الجبابرة ، وآباءُ الجبابرة ، وكان كَيْ قبَاذ فى زمن سليمان عليه السلام .

الثانى : كَيْ كَاوُس بن كَيْقُبَاذ ملكِ مائة وخمسين سنة .

الثالث : كَيْخُسْرُو بن سِيَاوَخش بن كَيْكَاوُس مَلَكَ ستين سنة .

الرابع : لهْرَاسَب ابن أخى كَيْكَاوُس ، وهو الذى بنى مدينة بَلْخ لقتال التُّرك ، وكان فى زمنه بخْت نَصَّر ، وقيل كان بَخْتَ نصّر أَصْبَهْبَذًا[1] للهْرَاسَب على العراق ، وقيل إن لهْرَاسَب لما مات استقل بَخْت نَصَّر بالملك بعده .

الخامس : كَيشْتَاسَب بن لهْرَاسَب .

السادس : بهمَنْ[2] بن أَسْفَنْدِيَار بن كَيِشتَاسَب بن لَهْرَاسَب ، وكانت مدة ملكه ستين سنة ، وكان متواضعًا يُخْرِج كُتُبَهُ : من أَزدشير بهْمَن بن عبد الله وخادم الله السّائِس لأُموركم ، ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة فى أَلف أَلف مقاتل ، وكان أَعظم ملوك الفُرْس شأْناً وأَفضلهم تدبيرًا .

---

(١) اصبهبذ : معناه النائب . أبو الفدا — المختصر فى أخبار البشر ١ : ٤٢

(٢) فى مروج الذهب للمسعودى، ١ : ٢٢٨ ، كى أزدشير بهمن . وبهمن معناها الحسن النية . المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٤٤

السابع : هُمَاىْ[1] جَهْرَازَاد بنت بهْمَن ، أَقامت فى الملك ثلاثين سنة .

ثم وضعت ابْنًا فى أَحسن صورة ، فأَخفته عن الناس لأَجل السلطنة ، ولما أَتت عليه ثمانية أَشهر وضعته فى صندوق مُبَطَّن بالديباج والحرير ، وأَمرت بأَن يُلْقَى فى الفرات ، فصادفه رجل قصّار[2] ، فأَخذه وفتحه فإِذا فيه صبىٌّ كالقمر ، نائم بين الذهب والفضة والحرير ، فأَخذه [٢١] وأَتى به إلى امرأَته ، فلما رأَته بهتَت به ، وسمّاه القصّار دَاراب ، وله قصة طويلة ، فآخر الأَمر لَمَّا دنت وفاةُ هماى أَعلمت الناس بأَمر داراب ، وقالت : لم يبق من نسل بهمن غيرُه وهوَ وارثُ الملك والسلطنة فاتبعوا أَمره ، فقبلوا ذلك منه ، وتولَّى عليهم بعدها ، وهو الثامن منهم ، وهو الذى بنى مدينة دَارَبْجُرْد[3] ، وهو الذى رتَّب دَوَابَّ البريد ، ثم قصد بلاد الروم ، وكان ملكهم يسمّى فيلقوس ، فنهض إليه من عمُّورِيَّة ، وهى التى تسمّى اليوم أَنْكُورِيَة[4] ، فتلاقوا ، وقام بينهم

---

(١) كذا فى الأصل . وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٣٩ « خمانى بنت أزدشير بهمن » ، وفى مروج الذهب للمسعودى ١ : ٢٢٧ « حاى ، وحمايه » وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٢٧ ط . بيروت « حماى » .

(٢) القصار = هو محور الثياب ومبيضها « فارسية معربة » المنجد : ٦٣٣

(٣) داربجرد . وترسم دارابجرد . وهى عاصمة كورة تحمل نفس الاسم . أبعد كور فارس نحو الشرق — وتطابق هذه الكورة ولاية شبا كاره .
لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ٣٢٥ وما بعدها .

(٤) هذا خطأ . فعمورية ليست هى التى تسمى أنكورية — فهذه مدينة وتلك مدينة أخرى — انظر الخريطة ٤ — مقابل ص ١٥٩ لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية .

حرب شديدة ثلاثة أيام ، فانكسر فيلقوس ، ودخل عمُّوريّة وتحصّن بها ، وبعث يطلب الصُّلح من داراب ، فقال : لا أصطلح حتى يلتزم لى بالخراج ، ويزوجنى بابنته ناهيذ ، فرضى بذلك فيلقوس ، واستقر الأَمر على أن يؤَّدىَ له كل سنة أَلف بيضة ، وزن كل بيضة أَربعون مثقالاً من الذهب الأَحمر ، وبعث ابنته إلى داراب مع عشرة أَحمال من الديباج الرومى المنسوج بالذهب والفضة ، وثلاثمائة حمل من الملابس والمفارش ، فلما وصلت دخل عليها داراب وحملت منه ، واتفق أَنه ذات ليلة كان نائمًا معها فى الفراش فتنفَّست فشمَّ من نكهتها رائحة كريهة فنفرت نفسُهُ منها ، وطلب الحكماءَ فعالجوا ذلك الدَّاءَ بدواءٍ يُسمى الإسكندر فى بلاد الروم ، فطابت نَكْهَتُهَا ، غير أَن تلك النفرة استمرت فى قلب داراب ، وكان لايقرب إليها ، وآخر الأَمر ردّها إلى أَبيها ، فلما تمّ لها تسعة أَشهر عند أَبيها ولدت ولدًا فسمته اسكندر — تيمُّنًا باسم الدَّواءِ الذى وجدت عليه الشفاءَ — ولم يُظْهِر مَلِكُ الرُّوم أَنَّهُ ابنُها من دَارَاب ، وأَظهر أَنه ابنُه هو ، وأَحبَّه حبًا شديداً ، وجعله ولىّ عَهْدِهِ .

ثم إن داراب لما كان قد أَرسل بنت فيلقوس تزوَّج ورزق ولدًا ، وسمّاه دارًا ، وجعله ولىَّ عهده ، وصار الأَمر له من بعده ، ولكن اسكندر غلب عليه بعد أُمور كثيرة ، وأَخذ مُلْكَ أَبيه داراب ، وهو التاسع ، وإنما جعلنا هذا تاسعًا ولم

نجعل دارا لأنه كريمُ الطرفين لأن أباه داراب ملك الفرس ، وأُمّه بنت ملك الروم ، فعَلَا قَدْرُهُ بين الفرس ، وبنى بأَصْبِهَان مدينة يقال لها جَيْ[1] . وهذا الإسكندر هو صاحب أَرَسْطَالِيس – وكان وزيره – وكان ملكاً عظيماً ، قد أَخذ البلاد وقَهَرَ العباد ، وكل من قصده بسوءٍ هَلَكَ . . فكذلك إن شاء الله تعالى مولانا السلطان الملك المؤيد يكون كذلك ، لأنه تاسع السلاطين كما أن الإسكندر تاسع ملوك الفرس الكيايية .

الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأَشغانيون ويقال الأَشغانية ، ويقال الأَشكانية ، وهم ملوك الطوائِف .

وأَولهم الذى هو أَكبرهم : أَشْك بن أَشْك من نسْل كَيْقُبَاذ .

الثانى : سَابُور .

الثالث : جَوذرز .

الرابع : بيرن .

الخامس : هِرْمِز .

السادس : خُسْرو .

والسّابع : أُرْدُوَان .

الثامن : بَهْرَام .

التاسع : أُرْدُوَان الأَصغر[2] ، وكان ذا عقل وحزم ،

(١) جى : مدينة يحف بها سور به مائة برج . ، وتسمى شهر ستانه . انظر لسترينج – بلدان الخلافة الشرقية ٢٣٨ وما بعدها .

(٢) فى الأصل « الأكبر » وما هنا من مروج الذهب للمسعودى ١ : ٣٩ والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٤٧ – أما الأكبر فهو السابع من الملوك .

واجتمع له جميع ملوك الطوائف . . فإن شاءَ اللهُ تعالى يجتمع لمولانا السلطان جميع أَهل البلاد ويهلك أَعداوُه .

الطبقة الرابعة السَّاسَانِيَّة وهم الأَكاسَرة .

أَوَّلهم أَرْدَشِير بابك بن سَاسَان بن سَاسَان الأَكبر بن بهمن ابن أَسْفِنْدِيَار بن كَشْتاسَب بن لُهْرَاسَب ، وهو الذى ضبط مُلْك فارس ، وجمع شمله بعد تفرقة ، وأَقام أَربع عشرة سنة وعشرة أَشهر .

الثانى سَابُور بن أَرْدَشِير ، أَقام فى الملك إحدى وثلاثين سنة وستة أَشهر ، وقيل : إنه فى زمانه استخرج العُودَ «آلة اللهو » وقيل : أَول من ضَرَبَ بالعود والطنبور والصنج بَنو إسرائيل أَيام داود عليه السلام ، وقيل : أَول من ضرب بها إبليس عليه اللعنة ، وهو أَول من تغنَّى وناح ، وقيل : إن أَول من ضرب بالعود وتغنى بالوزن والإيقاع أَهل فارس ، وأَهل خراسان أَول من ضرب بالصنج ، وأَهل الرى أَول من ضرب بالطنبور وقيل أَهل طبرستان وقيل الدَّيلم . وأَهل اليمن أَوَّل من ضرب بالْمِعْزَف ، وأَول من ضرب بالرَّباب اليُونَان . وأَول من ضرب بالدُّف والطَّبْل النَّبط ، وقيل إنما عمل العود صاحب كتاب الخيل من الفرس ، وهو معمول على صورة الفخذ ، وجعلوا الملاوى على صورة الأَصابع ، والأَوتار على صورة العروق ، وجعلوه لِيَرُدّ الصوت بسرعة ، وجعلوا

فى وسطه ثقبتين ليدور الصوت إذا دخل فى عمقه ، ويخرج من حيث دخل ، ورتَّبوا الأَوتار على طبائع الإنسان ، قلت : طبائع الإِنسان أَربعة حارٌ رَطبٌ ، وحارٌ يابس ، وبارد رطب ، وبارد يابس ، فكذلك أَوتار العود ، زيرٌ ، وقريب من الزير ، وبُمٌّ ، وقريب من البُمّ . فالزير كالبارد اليابس ، والقريب منه كالبارد الرطب ، والبمّ كالحار اليابس ، والقريب منه كالحار الرطب . فكذلك ترى طبائع الإِنسان فى السماع مختلفة فمنهم ، [من][1] يميل إلى الزير ، ومنهم من يميل إلى البمّ .

الثالث : هُرْمُز[2] بن سابور ، ملك سنةً ونصفًا . وقال الفردوسى أَربعة أَشهر .

الرابع : بَهْرَام بن هُرْمُز بن سابور ، ملك ثلاثَ سنين وثلاثة أَشهر .

الخامس : بَهْرَام بن بَهْرام المذكوز أَولاً ، أَقْبَلَ على اللهو واللعب ، فخربت البلاد ، ونقصت بُيُوت الأَموال ، ثم رجع وترك اللهو وأَمر بالعدل ، حتى كانت أَيامه تسمى الأَعياد ، ملك سبع عشرة .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) الضبط بصورتيه (بضم الهاء والميم وكسرهما) عن تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٣٧ و ٣٤٦ ط بيروت .

السادس : كِرْمَان شاه بن بَهْرَام ، فسلك مسلك أَبيه فى العدل والسياسة ، ملك أَربع سنين وأَربعة أشهر .

السابع : نرسِى[1] أَخو بَهْرَام ، ملك تسع سنين .

الثامن : هُرْمُز بن نرسِى ، ملك تسع سنين أَيضًا .

ولما مات كان بعض نسائه حاملاً فعقدوا له بالسلطنة ، فولدت بعد أَربعين يومًا ، فسّموه سَابُور ، وهو التاسع ، ملك ثمانين سنة ، وكان شجاعًا ، قتل من العرب كثيرًا ، وأَباد الرُّومَ قتلاً وأَسرًا ، وهو الذى بنى مدينة نِيْسَابور ، وكان ملوك البلاد كلهم قد أَطاعوه وهادَوا له من خوفهم منه .. فإن شاءَ الله تعالى كذلك يكون مولانا السلطان المؤيد تاسع السلاطين .

وأَما الملوك العظام منَ القياصرة .

فأَولهم طوخاس ملك [٢٢] اثنتين وعشرين سنة .

الثانى : غالِيُوس .

الثالث : بُونَيُوس .

الرابع : أُغُسْطُس ولقبه قيصر ، معناه شُقَّ عنه ؛ لأَن أُمه ماتت قبل أَن تلده ، فَشُقَّ بطنُها وأَخرجوه ، فلقب قيْصَر ، وصار لقبًا لملوك الروم بَعْدُ كما ذكرناه .

---

(١) — كذا فى الأصل — وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٤٧ ط بيروت « فرسين »

الخامس : طبياريُوس ، ملك اثنتين وعشرين سنة ، وهو الذى بنى طَبَرِية بالشام ، واشتق اسمها منه .

السادس : غانِيُوس . ملك أربع سنين ، ولِمُضِىّ السنة الأُولى من مَلَكه رُفِعَ المسيح عليه السلام .

السابع : قلوذيوس ، ملك أربع عشرة سنة .

الثامن : قارون ، ملك ثلاث عشرة سنة .

التاسع : ططيوس ، ملك سنين كثيرة ، وهو الذى غزا اليهود وأسرهم وباعهم ، ويقال : إن الذين أسرهم من بنى إسرائيل ثلاثمائة ألف . وكان ملكًا عظيمًا ، كل من قَصَدَه بسوء هَلَك .. فإن شاءَ الله تعالى كل من قصد مولانا السلطان بسوء هلك ؛ لأنه هو التاسع كما ذكرنا .

وأما الملوك العظام من التَّبابعة .

فأولهم : الحارث الرائِش ، ملك مائة وخمسًا وعشرين سنة ، سُمِىّ بالرائِش لأنه لما دخل بالغنائم بلاد اليمن راشَ الناس ، وذكر النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى شعره :

ويملك بعدهم رجلٌ عظيم [نبى][1] لا يُرَخِّصُ فى الحرام
يسمى أحمدا ياليت [أنى][2] أُعمَّر بعد مخرجه بعام

الثانى : ذو القرنين الصعب بن الرائش .

الثالث : ابنه ذو المنار أَبْرَهَة ، سمّى به لأنه أوغل فى

(١و٢) مابين الحواصر سقط فى الأصل ، ولابد منه لسلامة وزن الشعر .

بلاد المغرب والسودان ، وأقام المنار ليهتدى به [1] . ملك مائة وثمانين سنة .

الرابع : ابنه أفريقِيش ، وهو الذى بنى أفريقية ، ملك مائة وستين سنة .

الخامس : أخوه ذو الإذعار عمرو بن ذى المنار ، سُمِّى بذلك لأنه أذعر الناس [2] ، ملك خمسًا وعشرين سنة ، وكان على عهد سليمان عليه السلام .

السادس : شُرَحْبِيلُ بنُ عمرو .

السابع : ابنه هدهاد .

الثامن : ناشر [3] النعم .

التاسع : شَمَرِيَرْعَش [4] ، وكان فى زمن بِشْتَاسَف ، ودخل بِشْتَاسَف فى طاعته ، وسار وافتتح سَمَرْقَنْد [5] ، وقتل خلقًا كثيرًا ، ودخل أَرض الصُّغد [6] ، وسار نحو الصِّين ،

---

(١) أى إذا رجع من مغازيه ــ المعارف لابن قتيبة ٦٢٧ .

(٢) ذلك لأنه رجع إلى اليمن من بلاد النسناس بسبى وجوههم فى صدورهم فذعر الناس منهم . المعارف لابن قتيبة ٦٢٨ .

(٣) كذا فى الأصل ومروج الذهب للمسعودى ٢ : ٧٦ . وفى المعارف لابن قتيبة ٦٢٩ هو ياسر بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل .

(٤) هو شمر بن أفريقيش : وسمى بذلك لارتعاش كان به . المعارف لابن قتيبة ٦٢٩ .

(٥) يقول ابن قتيبة فى المعارف ٦٢٩ : هى تعريب لكلمة شمركند أى أخرب بها شمر . وكانت قصبة عامرة لإقليم الصغد فخر بها فسميت بذلك .

(٦) أرض الصغد تشمل الأراضى الخصبة فيما بين نهرى سيحون وجيحون : ويرويها نهر الصغد : لسترنج ــ بلدان الخلافة الشرقية ٥٠٣ وما بعدها .

وكان ملكًا عظيمًا . . فمولانا السلطان أيضًا إن شاء الله تعالى يفتح البلاد ويدخل فى طاعته أهلها .

وأما الملوك العظام من الفراعنة ، وهم ملوك القبط بالديار المصرية .

فأولهم نقراوش ، وهو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل لها عجائب ، منها أنه عمل صنمين من حجر أسوَد فى وسط المدينة ،إذا قدم سارق لم يقدر أن يزول عنها حتى يسلك بينهما ، فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ ، وملك مائة وثمانين سنة .

الثانى : ابنه نقراش ، وبنى خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين ، كل ذلك أخربَهُ الطوفان .

الثالث : ابنه مصرام وكان قد ذَلَّلَ الأَسد وركبه ، ويقال إنه ركب على عرش وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط البحر المحيط . فجعل له فيه قلعةً بيضاءَ ، وجعل له عليها [صنما] (1) للشمس ، وكتب عليها أنا مصرَام الجبّار ، كاشف الأَسرار ، الغالب القَهَّار ــ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِعَ فى أيامه ــ وكان قد رأى فى علمه وقوع الطوفان ، فأَمر الشياطين الذين يطيعونه أن يبنوا له مكانًا خلف خط الاستواءِ ، بحيث لايمكن لحوق الماءِ إليه ، فبنوا القصر الذى فى سفح الجبل الذى يسمى جبل القمر ، وهو قصر النُّحَاس الذى فيه تماثيل النحاس وهى خمسة وثلاثون

(1) ما بين الحاصرتين إضافة عن حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى ١ : ١٣

تمثالاً يخرج ماءُ النيل من حلوقها ، ويَنْصَبّ إلى بطحاء مصر .

الرابع : ابنه عرياق ،وإليه تُعْزَى مصاحف القِبط التى فيها تواريخهم وجميع ما يجري إلى آخر الدّهر ، وعمل أعمالاً عظيمة ،منها عمل شجرة صُفر[١] لها أغصان من حديد بخطاطيف إذا تقرب إليها الظالم مِن المدّعِيين اختطفته تلك الخطاطيف وتُعَلِّقه فلا تفارقه حتى يُقِرّ بالحق .

الخامس : لوخيم بن نقراش .

السادس : خصليم ، وهو [٢] أوّل من عمل المقياس لزيادة النيل .

السابع : هُو صَال ، ويقال كان نوح عليه السلام فى فى زمنه .

الثامن : أخوه شمرود بن هوصال[٣].

التاسع : ابنه سُوريد ، وكان حكيمًا فاضلاً ، وهو أول من جبى الخراج بمصر ، وأول من أمر بالإنفاق على المرضى والزّمْنَى من خزائنه ، وعمل أعمالاً عجيبة ، منها : أنه عمل مرآة من أخلاط ينظر فيها إلى الأقاليم السبعة ، وما يحدث فيها من أمور ، وهو [الذى][٤] بنى الهرمين لِدَفْعِ الطُّوفان ، وكان قد علم ذلك ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة.ولما فرغ وضع فيها جميع خزائنه وأمواله ، ووضع فيها من الأشياء الغريبة

(١) الصفر : النحاس .
(٢) العبارة فى الأصل « وهو الذى أول » .
(٣) كذا فى الأصل ، ولعل كلمة « أخوه » زائدة .
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

منْ السلاح الذى لايصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ومن الذهب والفضة واللآلئ واليواقيت مالا يُوصَف ولا يُحدّ ، وكتب عليها بالقبطية [ما][1]تفسيره بالعربية :أَنا سُورِيد الملك ، بنيت هذه الأَهرام فى وقت كذا وكذا ، وأَتممت بناءها فى ست سنين ، فَمن أَتى بعدى ، وزعم أنه مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة ، وقد علم أَن الهدم أَيْسرُ من البناءِ ، وإِنى كَسَوْتها عند الفراغ بالديباج فليكسها بالحُصْر ، وكان ملكًا عظيمًا ، بلغ ما أَراده من العظمة ، وزينة الدنيا وغير ذلك . فكذلك إن شاءَ الله تعالى مولانا السلطان ، لأَنه تاسع السلاطين ، كما أَن سُوريد هو تاسع مُلُوك القِبْط .

وأَما الملوك العظام من البطالسة ، وهم ملوك اليونان ، عدَّتهم ثلاثة عشر ملكاً ، يسمّى كل منهم بَطْلَمْيُوس ومعناه أَسد الحرب .

وأَولهم : بطلميوس شيوس بن لاغوس ، وكان يلقب بالمنطقى ، ملك عشرين سنة ، وكان يقال هو أَول من لعب بالبزاة .

الثانى : بطلميوس فيلوذ فوس ، ومعناه محبّ أَخيه ، ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وهو الذى نقلت له التوراة من العبرانية إلى اليونانية .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الثالث : بطلميوس أوراخيطيس ، ملك خمسًا وعشرين سنة ، وفى أيامه أدّى له ملك الشام إتَاوَةً .

الرابع : بطلميوس أَقنقيوس ، ملك أَربعًا وعشرين سنة .

الخامس : بطلميوس فليُوبطور ، ومعناه محبّ أَبيه ، ملك سبع عشرة سنة .

السادس : بطليموس[1] أوراخيطيس [الثانى] [2] ، ملك تسعًا وعشرين سنة .

السابع : بطلميوس سديريطش ، ملك تسع سنين .

الثامن : بطلميوس اسكندروس ، ملك ثلاث سنين .

التاسع : بطلميوس قيلدفوس ، ملك تسعًا وعشيرين سنة [٢٣] ، وكان ملكًا عظيمًا لم يُقهر قط ، ولم ينكسر عيسكره . . فإن شاءَ الله تعالى يكون مولانا السلطان المؤيد كذلك .

وأَما الملوك العظام من النَّمَارِدة ، وهم ملوك أَرض بابل ، وهم الجبابرة ، ويقال : إنهم ملوك العالم الذين مهَّدوا الأَرض بالعمارة ، وأن الفرس أَخذوا الملك منهم ، كما أَخذت الروم من اليونان .

وأَولهم : نمرود الجبَّار الذى أَرمى الخليل فى النار ، ملك ستين سنة .

الثانى : أَبوليس الجبّار ، ملك نحوًا من سبعين سنة .

الثالث : كوروس الجبّار ، ملك خمسين سنة .

---

(١) بطليموس : هذا أول اسم جاء على هذه الصورة أما غيره فبتقديم الميم على الياء .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٦٠

الرابع : قوسيس الجبّار ، ملك نحواً من أَربعين سنة .

الخامس : فيرميوس الجبار ، ملك نحواً من مائة سنة .

السادس : سوسوس الجبار ، ملك نحواً من تسعين سنة .

السابع : لوروس الجبار ، ملك نحواً من خمسين سنة .

الثامن : أَنيُوس الجبار ملك نحواً من ثلاثين سنة .

التاسع : ثارليوس الجبار ، ملك نحواً من خمسين سنة ، وكان أَعظم الجبابرة ، قهر ملوكًا كثيرة ، وفتح بلادًا عظيمة . . فإن شاءَ الله تعالى مولانا السلطان الملك المؤيّد يقهر ملوكًا ويفتح بلادًا .

وأَما الملوك العظام من القَحَاطِنَة ، فهم ملوك العرب قبل الإسلام .

وأَولهم : الذى ملك أَرض اليمن ، ولبس التاج وملك مائتى سنة قَحْطَان بن عابر بن شَالخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام .

الثانى : يَشْجُب ابنه .

الثالث : عبد شمس ، ولقبه سبأ ، لُقِّبَ به لأَنه أَكْثَرَ الغَزْوَ فى أَقطار الأَرض .

الرابع : ابنه حِمْير ، وكان شجاعًا ، ولما ملك أَخرج ثَمُودَ من اليمن إِلى الحجاز ، وسُمِّىَ حِمْيَر لكثرة لباسه للثياب الحُمر .

الخامس : أَخوه كَهْلان بن سبأ .

السادس : وائل بن حِمْير .

السابع : ابنه السَّكْسَك .

الثامن : ابنه يَعْفُر .

التاسع : شدَّاد بن عَاد بن المَطَاط بن سبأ ، قيل إنه ملك الدُّنيا ، وولد له أَربعة آلاف ولد ذكر لِصُلْبهِ ، وتزوَّج أَلف امرأة ، وعاش أَلف سنة ومائتى سنة ، وهو الذى بنى مدينة إِرَم (١) فى صحارى عَدَن ، وشدّها بصخور الذهب ،وأَساطين الزَّبَرجد والياقوت ، يُحاكى بها الجنة لما سَمِعَ من وصفها – طغياناً منه وعُتُوّاً . . فإن شاءَ الله تعالى يعيش مولانا السلطان طويلاً ، ويرزق أَولادًا كثيرة ، ويحتوى على أَملاك كثيرة لأَنه تاسع كما أَن ذلك تاسع .

وأَما الملوك العظام من العَدَانِنَة ، فهم أَصل النَّبِى صلى الله عليه وسلم ، وهم أَشرف الناس أَصلاً وأَكرمهم نسبًا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كِنانة ، واصطفى هاشمًا من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم . رواه مسلم من حديث واثلة بن الأَسقع رضى الله عنه .

وأَولهم : عدنان بن أَدّ بن أَدَد بن اليَسَع بن الهُمَيْسع

(١) إرم : مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء. ياقوت –معجم البلدان ١ : ٢١٢ طليزج .

ابن سلامان بن نَبْت بن حِمل بن قَيْدار [1] بن إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام .

الثانى : مَعَدّ .

الثالث : نِزَار .

الرابع : مُضَر .

الخامس : إلياس .

السادس : مُدْرِكَه .

السابع : خُزَيْمَة .

الثامن : كنَانة .

التاسع : النَّضْر . قال ابن هشام : هو قُرَيش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشِيٌّ . ومن لم يكن فليس بِقُرشِيٍّ ، سمّى قريشًا لأَنه كان يُقَرِّشُ عَنْ خُلَّةِ الناس وَحاجتهم فَيَسدها بماله ، من التَّقريش وهو التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أَهل المَوْسِم من الحَاجَّةِ فيردونهم [2] بما يبلغهم بلادَهم ، وقيل هو من التَّقرُّش ، وهو التَّجَمعُ بعد التفرقة ، وذلك فى زمن قُصَىّ بن كلاب ؛ فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم . وقيل هو من التَّقَرُّش ، وهو التكسب والتجارة . حكاه ابن هشام . وسئل ابن عبّاس ، لم سُمِّيَت قُرَيْش قريشًا ؟ فقال : لِدَابَّة تكون فى البحر ، تكون أَعظم دوابِّهِ ، يقال لها القِرش ، لا تمرّ بشىء من الغث

(١) فى الأصل « قيدان » وما هنا عن شجرة النسب ص ١٠١ .

(٢) فى الأصل « أهل الوسم عن الحاجة فير دوهم » والصواب ما هنا .

والسمين إلاَّ أَكلته ، رواه البيهقى . فالنَّبِى صلى الله عليه وسلم من ذريته ؛ لأَنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم [١] ابنِ عبد مَنَاف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَى ابن غَالِب بن فِهر بن مَالِك بن النضر ، وهو قُرَيش كما ذكرنا .

وأَما الملوك العظام من المناذرة فهُم على صِنْفَيْن ، الأَول[٢] : هم ملوك العرب بأَرض الحِيَرة ، وكانوا عُمَّالاً للأَكاسرة .

وأَوّلهم : مالك بن فَهْم .

الثانى : عمرو بن فَهم .

الثالث : جَذِيمَة بن مالك ويقال له الأَبرش [٣] .

الرابع : عمرو[٤] بن عَدِى بن النَّضر بن ربيعة .

الخامس : ابنه امرؤ القيس بن عمرو .

السادس : النُّعْمَان الأَعور ، وهو الذى بنى الخَوَرْنَق والسَّدِير، وهما قصران عظيمان .

السابع : ابنه المُنْذِر بن النُّعْمَان ، كان ملكه فى زمن قُنْبُر وَزِيرِ بن يَزْدَجِر .

الثامن : الأَسْوَد بن المُنْذِر ، وهو الذى انتصر على عرب الشام ـ غسَّان ـ وكان ملكه فى زمن فيردون الثانى .

(١) فى الأصل « بن هشام » وهو خطأ .

(٢) ولم يذكر المؤلف الصنف الثانى .

(٣) وذلك لبرص كان فى يده ، كما يقال له الوضاح ـ المعارف لابن قتيبة ٦٤٥ ، مروج الذهب للمسعودى ٢ : ٩٨ .

(٤) وهو ابن رقاش أخت جذيمة .
مروج الذهب للمسعودى ٢ : ٩٠ و ٩١ .

التاسع : المنذر بن المنذر بن النعمان ، وكان ذا شجاعة وبأس ، وكان تهابه الملوك وتعظمه الأكاسرة .. فإن شاءالله يكون مولانا الملك المؤيد كذلك تهابه الملوك والسلاطين .

وأما الدُّوَل التسع العظام الذين كانوا فى الإسلام :

فأولها : دولة بنى أُميّة .

والثانية : دولة بنى العباس .

والثالثة : دولة الفاطميِّين .

والرابعة : دولة بنى بُوَيه .

والخامسة : دولة السلاجِقَة .

والسادسة : دولة الجِنْكِزِيّة .

والسابعة : دولة الأَغَالِبَة .

والثامنة : دولة بنى أَيّوب .

والتاسعة : دولة التُّرك بالديار المصرية .

وأما دولة بنى أُمية .

- فأَوّل خلفائهم أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد ذكرنا تاريخ أيامه .

والثانى : أَمير المؤمنين معاوية بن أَبى سُفْيَان صَخْر بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَى القرشى الأموى.أَبو عبد الرحمن خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب العالمين ، وأُمه هند بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس . أَسْلَمَ

معاويةُ يوم الفتح ، وكانت له مواقف شريفة يوم اليرْمُوك ، وكان أَبوه قائد قريش يوم أُحُد ويوم الأَحْزَاب ، وهو أَوّل خليفة بايَعَ وَلَدَه ، وأَوّل من وضع البريد [٢٤] ، وأَوّل خليفة اتخذ الحرس ، وأَوّل من عمل المقصورة(١) فى المسجد ، وحجَّ فى خلافته مَرّتَيْن ـ وكانت عشرين سنةً إلا شهرًا ـ ، وكانت إمارته أَيضًا عشرين سنة ، وكان يأكل فى اليوم سبع مرات بحساء بقصعة فيها لحم كثير وبصل ، وكان يأكل أَيضاً من الحلاوة والفاكهة شيئًا كثيرًا . ويقول : والله ما أَشبع . توفى سنة ستين ، ويوم توفى كان عمرُه خمسًا (٢) وثمانين سنة ، وصلَّى عليه الضحَّاكُ بن قيس ، وكان يزيدُ غائبًا ، ودُفِنَ بين باب الجابية(٣) وباب الصَّغير(٤) .

والثالث : ولدُه يَزِيدُ الظالم ، وفى أَيامه جرت مصائب كثيرة ، ومن أَعظمها قتل سيِّد أَهل الجنة أَمير المؤمنين الحُسَيْن ابن على بن أَبى طالب رضى الله عنهما ، وتوفى فى ربيع الأَول سنة

---

(١) انظر سبب بناء المقصورة فى المسجد ، بكتاب الأخبار الطوال للدينورى ص ٢١٥ ط وزارة الثقافة .

(٢) ويقال : اثنتان وثمانون سنة ، وثمان وسبعون سنة ـ المعارف لابن قتيبة ٣٤٩ .

(٣) باب الجابية : ويقع غربى دمشق ، منسوب إلى قرية الجابية وكانت هذه مدينة عظية فى الجاهلية ، وقد دخل منه أبو عبيدة دمشق بالأمان ـ وهو من الأبواب الرومانية وقد أعيد بناؤه فى أيام نور الدين الشهيد ثم جدد أيام الملك داود بن عيسى بن العادل الأيوبى ـ الأعلاق لابن شداد ٣٦ ، تاريخ دمشق ١ ـ ٢ : ١٨٧ ، دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد ٥٤ .

(٤) الباب الصغير : هو باب دمشق الجنوبى . وسمى بذلك لأنه أصغر أبوابها ، وقد جدد فى عهد الأيوبيين ولايزال باقياً حتى الآن وعليه النصوص التاريخية . هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٤١ .

أَربع وستين بِحَوّارِين[1] ، وحمل إلى دمشق ، ودفن فى مقبرة الباب الصغير ، ويوم مات كان سنهُ ثمانيًا وثلاثين سنة .

والرابع : ولدُه معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومكث فى الملك أَربعين يومًا ، وقيل عشرين يومًا ، وقيل شهرين ، وكان فى مدة ولايته مريضًا لم يخرج إلى الناس ، وكان الضَّحَّاك ابن قيس هو الذى يسدّ الأُمور ، وكان عمره يوم مات عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة ، وقيل خمس عشرة ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة أَربع وستين ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وقيل مات بـأَرْدُن ، وقيل أَنه سُقِى ، وقيل طُعِنَ [2] والله أَعلم .

والخامس : مَرْوَان بن الحكم بن أَبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأُمويّ ، صحابىٌ عند جماعة ، وكان عمرُه ثمانى سنين يوم توفى النبى عليه السلام ، وقالت جماعة : إِنه من التابعين ، ولم ير النبيَّ عليه السلام ، توفى[3] فى ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله ثلاث وستون سنة ، وكانت إِمارته تسعة أَشهر ، وقيل عشرة أَشهر إِلا ثلاثة أَيام .

والسادس : ابنه عبد الملك بن مروان ، وكان قَبْلَ الخلافة

---

(١) حوارين : بلدة من عمل دمشق (المعارف لابن قتيبة ٣٥١) أو من عمل حمص ـ كما فى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٩٢ .

(٢) المقصود بذلك أنه أصيب بالطاعون .
مختصر الدول لابن العبرى ١١١ .

(٣) قيل خنقته زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية ، وصاحت : مات فجأة .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٩٤ .

من الزُّهاد والعبَّاد الفقهاء الملازمين للمسجد ، التَّالين للقرآن ، وسمع من جماعة من الصحابة ، منهم عثمان ، وابن عُمَر ، وأَبو سعيد الخدرىّ ، وأَبو هُرَيْرَة وآخرون ، وهو أَول من شتا بالناس فى بلاد الروم سنة ثنتين وأَربعين ، وكان أَميرًا على المدينة وله ست عشرة سنة — ولاَّه معاوية — وهو أَول من سُمِّى فى الإِسلام بعبد الملك ، قاله ابن أَبى خيثمة (1) ، بويع له بالخلافة فى سنة ست وثمانين ، وتوفى بدمشق يوم الجمعة ، وقيل الخميس ، وقيل الأَربعاء النصف من شوال من سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنُه الوليدُ ولىُّ عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة ، ودفن بباب الجابية ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، وكانت أَسنانه مشبكة بالذهب أَفوه مفتوح الفم ، وربما غفل فانفتح فمه ويدخل فيه الذباب ، فلهذا يقال له أَبو الذُّبَاب ، وفى عيون المعارف(2) ، كان يُكَنَّى بالذباب (3) لبَخرِهِ ، ولَقَبُهُ رَشْحُ الحَجَرِ لبُخْلِه .

والسابعُ : ابنُه الوليدُ بن عبد الملك ، وهو الذى بنى جامع دمشق فى سنة ثمان وثمانين ، وتكامل فى عشر سنين ، وكان

---

(1) ابن أَبى خيثمة : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن أَبى خيثمة ، أحد الأعلام وصاحب التاريخ الكبير ، توفى سنة ٢٧٩ هـ .

دول الإسلام للذهبى ١ : ١٢٣ .

(2) هو كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف تأليف القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ وهو مخطوط بدار الكتب برقم ١٧٧٩ تاريخ .

(3) وفى المعارف لابن قتيبة ٣٥٥ ط.وزارة الثقافة : ويلقب رشح الحجر لبخله ويكنى أبا ذبان لبخره .

أصل موضعه معبدًا بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة ، وكانت أبوابه سبعة - قصدًا لذلك - وقيل أول من بنى جُدْران هذا الجامع الأربعة هود عليه السلام ، وكان [قبل] (١) إبراهيم عليه السلام بمدة طويلة ، وقد وَرَدَ إبراهيم دمشق عند برزة وقاتل هناك قومًا من أعدائه فظفر بهم ، وكان مقامه ببرزة . ولما عزم الوليد على بنائه بعث إليه ملكُ الروم مائتى صانع ، وأصرف عليه أموالاً عظيمة . وعَنْ رُحيم عن الوليد بن مسلم عن عَمْرِو بن مهاجر الأنصارى أنهم حَسِبُوا ما أُنفق على الكرمة التى قبلة المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار ، وحسبوا ما أُنفق على الجامع - فكأنه (٢) - أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . قال ابن كثير : وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار . وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . وقال ابن كثير ؛ فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الأموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار ، وقال رُحيم عن الوليد عن عمرو بن مهاجر الأنصارى عن مروان ابن صلاح عن أبيه قال : كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخّم ، وقيل أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن الجامع ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك، فضربه خمسين سوطًا ، وقال : ويلك أنا أعجز عن

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل للسياق .

(٢) كذا فى الأصل - ولعلها « فكان » .

ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فبيِّن ذلك ، فأَحضر من الذهب ما سبك منه لبنة فإذا هى قد دَخَلَهَا أُلُوفٌ من الذهب ، فقال : يا أَمير المؤمنين إنَّا نريد من هذا كذا كذا أَلف لبنة ، فإذا كان عندك ما يكفى ذلك عملناه ، فلما تحقَّق الوليد صحة قوله تركه ، وأَطلق له خمسين دينارًا . وكان فى محراب الصحابة حجر بللور ، ويقال حجر من جوهر ، وكان إذا أُطفئت القناديل يضىءُ لمن هناك بنورها ، وكان الوليد اشترى العمودين الأَخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بأَلف وخمسمائة دينار ، قال محمد بن عائذ (١) : سمعت المشايخ يقولون : ما تم مسجد دمشق إلا بأَداءِ الأَمانة . لقد كان يفضل عند الرجل من الفعلة الفلسُ ورأس المسمار فيجىءُ حتى يضعه فى الخزانة ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أَشهر ، توفى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكانت وفاته بدَيْر مرْوان ، فحمل على أَعناق الرجال حتى دفن بمقابر الباب الصغير ، وقيل[٢٥] بباب الفراديس (٢) ، حكاه ابن عساكر (٣) .

---

(١) هو محمد بن عائذ الدمشقى صاحب المغازى توفى سنة ٢٣٣ هـ .
دول الإسلام للذهبى ١ : ١٠٢

(٢) باب الفراديس أحد أبواب جامع دمشق وينسب إلى محلة كانت تسمى الفراديس وهى الآن خراب — والفراديس بلغة الروم تعنى البساتين . وهذا الباب هو الرابع من أبواب جامع دمشق وعليه منارة .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٥٧ و ٦ : ١٤٨ .

(٣) ابن عساكر : هو الحافظ ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله =

والثامن :سليمان [بن] عبد الملك ، بُويعَ له بالخلافة يوم مات أخوه ، وفى أيامه جهَّزَ الجُيُوش إلى قسطنطينية ، وكانت خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، توفى يوم الجمعة لعشر بقين من صَفَر من سنة تسع وتسعين ، عن خمس وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدابق من أرض قِنّسرين (١) بين حلب وعينتاب (٢) .

التاسع : عُمَر بن عبد العزيز بويع له بالخلافة يوم مات سليمان عن عهد منه إليه ، من غير علم منه بذلك ، وكان عَالِمًا ورعًا ديِّنًا خاشعًا . وقال سفيان الثورى (٣) ، الخلفاءُ خمسة : أبو بكر ، وعُمَر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز ، وأجمع العلماءُ قاطبة على أنه من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين ،والأئمة المهديين،وقال الإمام أحمد بن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنَّه قال : إن كان فى هذه الأُمة مهدىٌّ فهو عمرُ بن عبد العزيز ، وقال أحمد بن مروان . ثنا أبو بكر أخو خطاب بن خالد بن حَراش . ثنا حماد بن زيد عن موسى

= ابن الحسين بن عساكر الشافعى . مؤرخ رحالة ولد سنة ٤٩٩هـ وتوفى سنة ٥٧١ هـ . له مؤلفات عـدة .

انظر الزركلى — الأعلام ٢ : ٦٦٤ ط . أولى .

(١) قنسرين : كانت وحمص شيئاً واحداً . وهى كورة بالشام بينها وبين حلب ١٢ فرسخاً ياقوت — معجم البلدان ٤ : ١٨٧٠ ط . ليبزج

(٢) وترسم عين تاب : وهى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٣٣ هامش

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى محدث ، له الجامع الصغير ، والجامع الكبير ، والفرائض . ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ دول الإسلام للذهبى ١ : ٧٨ ، ٧٩ :

ابن أيمن الرّاعى ، وكان يرعى لمحمد بن عيينة ، قال : كانت الغنم ، والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد ، فعرَض لشاة منها ذئبٌ ، فقالت إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلاّ قد هلك ، فحسبنا فوجدناه قد مات فى تلك الليلة ، وكانت وفاته بدَيْر سَمْعَان من أرض حمص يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة إحدى [ومائة] [1] ، وقيل اثنتين ومائة ، وكان عمرُه يومَ مات تسعًا وثلاثين سنة وأشهرًا ، ومن زهْده أنه كان يبكى حتى كان يبكى دمًا ، ولم يكن يجالس إلا أهل العلم والزهد والصلاح ، وكانوا يتذاكرون الموت والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم الحِنَّاءة [2] . قال أحمد بن حنبل : لما تولى ردّ جميعَ المظالم حتى أنه ردّ فَصَّ خاتم كان فى يده وقال : أعطانيه الوليدُ من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم والملبس والمأكل والمتاع حتى أنه ترك التمتع بزوجته ، وكانت من أحسن الناس ، ويقال إنه ردَّ جهازها ، وما كان من أموالها إلى بيت المال ، وكانت بنت عَمّه الوليدبن مَرْوَان ، وكان دخله فى كل سنة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كلَّه حتى لم يبق له سوى أربعمائة دينار ، وكان حاصله حين وَلِىَ الخلافة ثلاثمائة درهم ، وكان يلبس الخشِن ، والعِدْوة [3]

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل الحناة والصواب ما هنا : والحناء : نبات يتخذ ورقه للخضاب الأحمر المعروف ويزرع فى البلدان الحارة . (محيط المحيط)

(٣) العدوة : نسيج من صوف الغنم . دوزى – تكملة المعجمات العربية ١ : ١٠٥ .

الغَليظة ، والقميص المرقع . وقال أَبوسليمان الدَّارَانى [1] : كان عمر بن عبد العزيز أَزهد من أُوَيْس القرنى [2] ؛ لأَنه ملك الدنيا وزهد فيها ، ولا ندرى لو ملكها أُوَيْس ماذا كان يصنع ، وليس من جرّب كَمَنْ لم يُجرِّب . . ولمولانا السلطان بشارة عظيمة ، ومسرَّة عظيمة ،حيث وقعت سلطنته فى درجة سلطنة عمر بن عبد العزيز؛ لأَن أَمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو التاسع من خلفاء بنى أميّة . . فكذلك مولانا السلطان هوالتاسع من سلاطين التُّرك ، ونرجو من الله تعالى أن يُرزَق من حظوظ الدنيا والآخرة ما رزق عمر بن عبد العزيز .

وأَما دولة بنى العباس .

فـأَول خلفائهم أَبو العباس السَّفاح ، واسمه عبد الله ، وكان عمره يوم تولى سِتًا وعشرين سنة ، وكان أَول من سَلَّمَ عليه بالخلافة أبا سَلَمَة الخلال [3] ، وذلك ليلة الجمعة لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر من سنة ثنتين وثلاثين ومائة

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى . زاهد مشهور من أهل داريا : وكان من كبار المتصوفين وتروى عنه أخبار فى الزهد ، توفى سنة ٢١٥ ﻫ .
الأعلام للزركلى ٢ : ٤٨٤ ط.أولى

(٢) هو أويس بن عامر القرنى . سكن الكوفة . وكان عابداً زاهداً ــ ويقال إنه قتل يوم صفين :
السمعانى ــ الأنساب ٤٤٦ :

(٣) أسند محمد بن على بن العباس إلى هذا الداعى الشيعى أمر الدعوة لبنى العباس بالعراقين بعد موت بكير بن ماهان،ثم صار أبو سلمة هذا وزيراً للسفاح ،وسماه وزير آل محمد ، ثم قتل بأمر أبى مسلم الخراسانى . الأخبار الطوال للدينورى ٣٣٤ و ٣٥٩ و ٣٧٠ .

بالكوفة ؛ وذلك بقيام أَبي مسلم الخراسانى ، واسمه عبد الرحمن ابن مُسْلم بن سنقرلون بن اسفنديار المَرْوَزِىّ ، وحكايته طويلة ، وملخصها : أَن إبراهيم بن عبد الله بن العباس بعث إلى أَبى مُسْلم - وكان فى خُرَاسان ، وكان إبراهيم فى حُمَيْمَة[1] - وقيل بالكوفة - فبعث إليه يطلبه ، فسار إليه أَبو مُسلم - لا يمرون ببلد إلا سأَلوهم إلى أَين تذهبون ؟ فيقول : إلى الحَجّ ، ولكنه يدعو الناس خفية إلى إبراهيم بن محمد . فلما كان ببعض الطريق أَتاه كتابٌ آخر بأَن ترجعَ إلى خُرَاسَان وتدعوَ الناس ، فرجع بمن معه ، فلم يزل يدعو واحدًا بعد واحد حتى صار معه [جمع][2] عظيم ، وكان إبراهيم قد أَرسل إليه لواءً يدعى الظِّلّ على رمح طوله أَربعة عشر ذراعاً ، وراية تدعى السَّحَاب[3] على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعًا ،وهما سَوْدَاوَان ، وهم أَيضًا لبسوا السواد ، فصار ذلك شعار بنى العباس ، ويقال : لما سار أَبو مُسْلم إلى خُرَاسَان كان ابن تسع عشرة سنة ،راكبًا على حمارٍ بإِكاف[4] . ثم صار له أُلوف من الجيوش ، فسمع بذلك مَرْوَان الجعدى[5]

(١) الحميمة : قرية من قرى الشام على مسافة من الشوبك وبينهما وادى موسى .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٢٠٩

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) يقول ابن العبرى فى مختصر الدول ١١٩ : وتأول الظل والسحاب . أن السحاب يطبق الأرض وكما أن الأرض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسى آخر الدهر .

(٤) الإكاف والوكاف : البرذعة . محيط المحيط .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم رابع عشر خلفاء بنى أمية ، ولقب بالجعدى لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٢٠٧ – ٢١٢ .

آخر خلفاء بنى أُمية ، فأرسل إليه جيشًا بعد جيش ، فكل من أَتى عليه انكسر بإذن الله ، ثم أَرْسَل وراءَ إبراهيم بن محمد فَحَبَسَهُ فى حرَّان ، فما زال فيه حتى مات ، قيل هُدِم عليه جِدَار ، وقيل سُمّ فى مشروب . وقيل غير ذلك ، فلما سمعوا بذلك ، عقدوا الخِلاَفَة للسفَّاح ، وكان مَرْوَان يومئذ على الزَّاب [1] ، وكان معه مائة أَلف وخمسون أَلفًا ، فأَرسل إليه السَّفَّاحُ عبدَ الله ابن علىّ [على] [2] عشرين أَلفًا فكسرهم ، وغرق أَكثرهم ، فتفرَّقَ عسكرُ مَرْوان فى النَّهر ، فآخرُ الأَمر لم تزل عساكر السَّفَّاح وراءه إلى أَن طردوه من الشام إلى عَرِيش ، ومن عَرِيش إلى مصر ، ومن مصر إلى الصَّعِيد ، فأَتوا إليه فوجدوه فى كنيسة بوصير [3] فأَخذوه وقتلوه ، وانقضت به دولة بنى أُميَّة ، ومدة ولايتهم إحدى وتسعون سنة وتسعة أَشهر وعشرة أَيام .

ثم إن أَبا مسلم عَظُمَ أَمْرُه جدًا ، وولاه السفاح على خُرَاسان وأَعمالها ، وقتله المنصور لأَنه صَرَفَهُ عن خُرَاسان فلم يجب إليه أَبو مُسلم ، ثم طالت بينهما المُرَاسَلاَت ، وآخر الأَمرِ قَدِمَ أَبو مسلم على المنصور بالمدائن فى ثلاثة آلاف رجل ، وخلَّف باقى عسكره بحُلْوَان ، فدخل عليه وقبَّل يَدَه وانصرف ،

---

(١) الزاب : نهران أحدهما يسمى الزاب الصغير والآخر يسمى الزاب الكبير ، وهما من روافد دجلة ومخرجهما من قرب جبال أذربيجان — المسالك والممالك للكرخى ص ٥٤ — والمنجد . معجم أعلام الشرق والغرب ٢٣١

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) بوصير : قرية من قرى محافظة الفيوم — المعارف لابن قتيبة ٣٧٢

فلما كان من الغد تَرَكَ المنصورُ بعضَ حَرَسِهِ وقال لهم : إذا صفَّقْتُ بيدى فاخرجوا واقتلوا أبا مُسْلم ، ودعاه فلما حضر [جعل][1] المنصور يُعَدِّدُ ذُنُوبَه وأبو مُسلم يَعْتَذر عنها ويقول : فعلت لكم كذا وكذا ، فقال المنصور : يا ابن الخبيثة : إنما فعلتَ هذا بحظِّنَا ولو كانت مكانك أَمَةٌ سوداء لفَعَلَت ما عَمِلْتَ ، أَلَسْتَ الكاتب إلىّ تبدأ بنفسك قبلى ؟ أَلَسْتَ الكاتب إلى تَخْطُب عَمَّتى آسِيَة ، وتزعم أنك من [٢٦] ولد سليط بن عبد الله بن العباس ؟ ! أتذكر تسليمك عَلَى أَخِي وأنا جالسٌ فى مجلس فلا ترانى أهلاً لِلسَّلام ؟ ! فذكر أشياء كثيرة ، ثم صفَّق بيده فخرجوا وقتلوه . وكان فى شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، وكان قال له : أبقنى يا أمير المؤمنين لأعدائك ، فقال : ياكلب أىّ عدوّ أعدى منك ؟ ولفُّوه فى عباءة وألقوه فى دِجْلة . وكان أبو مُسْلم قد قتل فى مدة دولته ستمائة ألف نفس صبرًا ، وكان ينظر فى الملاحم ويجد خبره فيها ، وأنه مميتُ دولة ومحيي دولة ، وأنه يُقْتَل ببلاد روميّة ، وكان المنصور يومئذ بروميَّة المدائن التى بناها كسرى ، ولم يخطر بقلب أبى مسلم أنها موضع قتله ، بل راح وَهْمُهُ إلى بلاد الروم ، فلذلك حضر عند المنصور . وكان أبو مسلم ممن يشتغل بالحديث ؛ رَوَى عن جماعة منهم ثابت البنَّانى وعِكْرِمَة مَوْلى ابنِ عبَّاس ،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

وروى عنه جماعةٌ .منهم عبد الله بن المُبَارك [1] ، وعبد الله ابن شُبْرُمة [2] ، وقال ابن خلِّكان : وقد اختلف فى نسبه ، فقيل إنه من العَرَب ، وقيل إنه من العجم ، وقيل إنه من الكُرْد ، ومولده بمدينة أَصبهان ، ومنشأه الكوفة .

الثانى : المنصور تولى الخلافة بعد موت أَخيه السّفاح بالجُدَرِى بالأَنبار [3] [فى][4] الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، ودفن بالأَنبار . ولما تولّى المنصور شرع فى بناءِ بَغْدَاد - وكان فى سنة خمس وأَربعين ومائة - فجمع المهندسين والصنَّاع والفعلاءَ ، وكان هو أَول من وضع لبنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله والأَرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين ، ثم قال : اُبْنُوا على بركة الله . وجعل لها ثمانية أَبواب فى السور البَرَّانى ، ومثلها فى الجُوَّانى ، وليس كل واحد تجاه الآخر ولكن ازوَرَّ عن الذى يقابله ، ولهذا سميّت بغداد الزورَاءَ . وكان المهندسون

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى الحافظ شيخ الإسلام ولد سنة ١١٨ هـ ومات سنة ١٨١ هـ .

تذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٣ .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الكوفى القاضى - فقيه أهل الكوفة ، ويعد فى التابعين . توفى سنة ١٤٤ هـ -

المزى - تهذيب الكمال ٣٤٦ ب .

(٣) الأنبار : مدينة بالعراق على نهر الفرات وكانت أكبر المدن الآهلة بإقليم العراق أيام العباسيين . لسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ١٧ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

رسموها بالرّماد ، فمشى فى طرقها ومسالكها ، ثم سلّم كل ربع منها لأمير يقوم على بنائِه ، وذكر أحمد بن أبى طاهر [1] فى كتاب بغداد : إن ذرع بغداد ثلاثة وخمسون ألف [2] جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا ، وإن عَدَدَ حماماتها ستون ألف حمام ، وأقل ما فى كل حمام خمسة أنفس [3] : حمامى ، وقَيِّم ، وزبّال ، ووقّاد ، وسقّاء . وإن بإزاءِ كل [4] حَمام خمسة مساجد ، وذلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل ما يكون فى كل مسجد خمسة أنفس : إمام ومؤذن ، وقَيِّمٌ ، ومأمومان ، فتناقص ذلك كله شيئًا فشيئًا إلى يومنا هذا ، ولا سيّما فى أيام هُلاَون بن طُولِى بن جِنْكِزخان الذى أخربها ، وقتل منها مايقرب من ألفى ألف نفس . ثم توفى أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ليلة السبت لِستٍّ مضين من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياما ، وكانت وفاته بمكة ، ودفن عند ثنية المعلى ، وكان عمره خمسًا وستين سنة .

الثالث : المهدى بن المنصور ، بويع له يوم مات أبوه ،

---

(١) هو أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور ، مؤرخ من بغداد . مات سنة ٢٨٠ ه . ياقوت — معجم الأدباء ١ : ١٥٦ و ١٥٧ .

(٢) ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « ٥٣٠٠٠ ذراع بذراع يدك » .

(٣) فى الأصل « نفس » وقد ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « كان فى كل حمام خمسة نفوس » .

(٤) ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « يقرب من كل حمام خمسة مساجد للصلاة » .

واسمه محمد[و][1]لقب بالمهدى طمعًا أن يكون الموعود به فى الأحاديث ،وتوفى بماسَبذَان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة ، وصلَّى عليه الرشيد ولده ، وكانت خلافته عشر سنين وشهرًا ونصفا ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ونصف سنة .

الرابع : الهادى واسمه موسى بن محمد المهدى ، وكانت خلافته سنة وشهرا وثلاثة وعشرين يوما ، وتوفى بعيساباذ[2] ليلة الجمعة النصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

الخامس : الرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، بويع له بالخلافة يوم مات أخوه ، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة ، وكان الهادى قد عزم على قتل الرشيد ، وعلى قتل يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وكان قد سجنه ، فأخرجه الرشيد من السجن ، وكان [3] ابنه من الرضاع وولَّاه حينئذ الوزارة ، وفوّض إليه جميع الأعمال والأمور ، ثم دارت الدَّوائر إلى أن قَتَل جعفرَ بن يحيى ، وأوقعَ بالبرامكة وأخذَ أموالهم ، وخرّب دورَهم على ما هو المشهور بين أهل التواريخ ، وجعفر هو ابن يحيى بن خالد[4]

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) عيساباذ : وتعنى بالفارسية عمارة عيسى ، وهى محلة كانت بشرقى بغداد تنسب إلى عيسى بن المهدى .

ياقوت – معجم البلدان ٧ : ٧٥٢ ط.ليبزج .

(٣) أى كان الرشيد بن يحيى بن خالد البرمكى من الرضاع .

(٤) فى الأصل «بن برمك »

ابن بَرْمَك بن بشتاسَف، وكان بَرْمَك مجوسيًا، قدم على هشام بن عبد الملك فأسلم على يده وتسمّى بعبد العزيز، وكان عَارِفًا بالحكمة وأنواعها من الحساب والنجوم والطب وغير ذلك، وكان متقدمًا عند الحكماء، وأبوه مَلِكًا من ملوك الفُرس.

وتوفى القاضى أبو يوسف [١]، والإمام محمد الشيبانى [٢] والكسائى [٣] فى دولة الرشيد.

وتوفى الرشيد ليلة السبت مستهلّ جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن سبعٍ وأربعين سنة، فكانت مدة خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرًا ونصفًا، ودفن بطُوس [٤]، وكان يقال له الموفَّق، والمظفَّر، والمؤيَّد.

السادس: الأمين محمد بن الرشيد، بويع له بالخلافة ببغداد، وفى عسكر الرشيد صبيحة اليوم الذى توفى فيه الرشيد، ثم وقع بينه وبين أخيه المأمون حَسدٌ وعداوةٌ، وآخر الأمر خُلِعَ الأَمينُ من الخلافة، واستقر المأمون، ولكن لم يستوثق له الأمر حتى قُتل الأمين فى بغداد فى رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة.

---

(١) هو أبو يوسف صاحب أبى حنيفة مات فى ربيع الآخر سنة ١٨٢ هـ. دول الإسلام للذهبى ١ : ٨٥

(٢) وهو أيضاً من أصحاب أبى حنيفة مات بالرى سنة ١٨٩ هـ. المرجع السابق ١ : ٨٦

(٣) هو أحد القراء السبعة أبو الحسن على بن حمزة الكسائى النحوى. مات بالرى سنة ١٨٩ هـ. المرجع السابق ١ : ٨٦

(٤) طوس : مدينة بخراسان تبعد عن نيسابور بنحو عشرة فراسخ - ياقوت - معجم البلدان ١٣ : ٤٩ - ٥٠.

السابع : المأمون ، استوثقت له الخلافة يومَ قتل الأمين ، وآستمر فى الخلافة إلى أن توفى بطَرَسُوس [1] يوم الخميس لثلاث عَشرة ليلة خلتْ من رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر، وآسمه عبد الله المأمون بن هارون الرشيد . وفى تاريخ العسقلانى مات بالبذندون[2] من أرض الروم ، وحمل ودفن فى طَرَسُوس ، وكان يغزو هناك ، وذلك لأن ملك الروم توفيل بن[ميخائيل][3] قد عدّى من البحر ، وَقَتَلَ جماعةً من المسلمين فى أرض طَرَسُوس نحوًا من ألف وستّمائةِ إنسان ، فركب المأمون فى الجيوش إليه وكسره وفرّق عسكره ، وفتح من بلاد الروم ثلاثين حصنًا ،ودَخل مصر ووضع أساس المِقْيَاس ، وفرّق أموالاً على فقرائها ، وكذا فعل فى الشام . وفى أيامه توفى الإمام الشافعى فى سنة أربع ومائتين ، وكذلك السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى سنة ثمان ومائتين .

الثامن : المعتصم محمد بن الرشيد ، بويع له بالخلافة

---

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام (حالياً بتركيا) ويقال كان بها دور لأهالى الأمصار الإسلامية ينزلها أهلها إذا وردوها —
المسالك والممالك للكرخى ٤٧ .

(٢) البذندون : عين ماء تسمى أيضاً عين رقة .
لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ١٦٦ .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ٢٨٥ ، ودول الإسلام للذهبى ١ : ٩٧ .

يوم مات أخوه بطَرَسُوس ، وهو الذى فتح عمُّورِيَّة (١) التى يقال لها انْكُورِيَّة ، وله فيها أمورٌ عجيبة ، وتوفى بسُرَّ مَنْ رَأَى(٢) يوم الخميس لسبع عشرة ليلة [خلت] (٣) من ربيع الأول من سنة سبع وعشرين ومائتين ، وعمرُه ثمان وأربعون سنة ، وصلَّى عليه ابنُه هارون [٢٧] الواثق، وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وكان يُلقَّب بالسبَّاع ، والبيْطار والمُثَمِّن (٤) . أما السَّباع فلأنَّه كان يصيد السِّباع بيده . وأمَّا البَيْطَارُ فلأنَّه كان يصيد حُمُرَ الوحش ويُنْعِلُهَا . وأما المثَمِّن فمن وجوه : الأول لأنه الثامن من خلفاءِ بنى العباس ، والثانى لأنه كان ثامِنَ ولد العبَّاس ، والثالث لأنه فتح ثمانية فتوحات : بلادَ بابل ، وعمُّورِيَّة ، قتل منها ثلاثين ألفًا وسبىَ مثلهم ، وكان فى سَبْيِه ستون بطريقًا ،

---

(١) ويحكى فى سبب فتحها أن امرأة من الهاشميات حين أسرالروم لها استغاثت بقولها وامعتصماه، فلما بلغه ذلك استعظمه ونهض من وقته وجمع العساكر وقصدعمورية — وهى عين النصرانية،وأشرف عندهم من قسطنطينية ، وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام— وفتحها فى سنة ٢٢٣ هـ

المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٣ —

وعمورية ليست هى أنكورية . وانظر معجم البلدان لياقوت — ٣ : ٧٣٠ وما بعدها .

(٢) سر من رأى : مدينة بين بغداد وتكريت شرقى دجلة، كانت تسمى سامرا فسماها المعتصم سر من رأى .

ياقوت . معجم البلدان ٣ : ١٤ وما بعدها .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق .

(٤) فى الأصل « الثمن » وما هنا من ابن كثير . البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٥ :

والزّط [1] ، وبحر البصرة [2] ، وقلعة الإحراق ، وديار ربيعة ، والسادر ، وفَتَح مصر بعد عصيانها ، والرابع لأنّه قتل ثمانية أعداء : بابك [3] ، ومازيّار [4] وناطش [5] صاحب عمّوريّة ، والأفشين [6] ، ورئيس الزنادقة [7] وعُجيف [8] ، وقادن [9] ، وقائد الرافضة [10] . والخامس فلأنّه أقام فى الخلافة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . والسادس فلأنّه خلّف ثمانية ألف ألف

(١) الزط : جماعة عاثوا فساداً فى بلاد البصرة وقطعوا الطريق ونهبوا الغلات ، وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ، فقاتلهم عجيف تسعة أشهر حتى قهرهم (ابن كثير — البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٢) .

ويقال للزط الجات ، وهم قبائل جاءت من الهند (وهم النور على مايقال) ولهم ديار تسمى الحومة من بلاد خوزستان يسقيها نهر طاب ، وبها مدينة تسمى الزط — لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ٢٧٩ .

(٢) بحر البصرة : هو نهر البصرة ودجلة البصرة أو نهر العوراء . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٤٣ وما به من المراجع .

(٣) هو بابك الخرمىّ المجوسى الذى استولى على طبرستان عشرين سنة ، وعظم أمره ، وهزم مراراً عسكر المعتصم — المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٤

(٤) هو مازيار بن قادن يزداً هرمز (وقيل محمد بن قادن — النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٧) وقد خرج على الطاعة بآمل طبرستان فخرج إليه جيش المعتصم وأسره ، ثم مات فى سنة ٢٢٥ هـ . ابن كثير . البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٩ و٢٩٢

(٥) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق ١٠ : ٢٨٨ (مناطش)

(٦) كان الأفشين خيزر بن قاووس أحد قادة المعتصم . المرجع السابق ١٠ : ٢٩٢ و ٢٩٣ . وفى النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٧ « حيدر بن كاوس »

(٧) والمراد به المبرقع أبو حرب اليمانى الذىّ زعم أنه السفيانى ودعا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أولاً إلى أن قويت شوكته فادعى النبوة . ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٨

(٨) هو عجيف بن عنبسة ، وكان حرض العباس على قتل عمه المعتصم حتى يظفر بالخلافة فبلغ المعتصم ذلك فأبطل التدبير ، وقتل عجيف وكذلك العباس بن المأمون . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٩ و ١٠) لم يستدل المحقق على تعريف بهما فى المراجع الميسرة له .

دينار ، ومثلها دراهم . والسابع فلأنه خلّف ثمانية آلاف غلام . والثامن فلأنه خلف ثمانية [آلاف][1] دابة .

التاسع : الواثق هارون بن المعتصم ، بُويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وتوفى بسُرَّ مَنْ رَأَى يوم الثلاثاء لست بقين من ذى الحجة من سنة ثنتين وثلاثين ومائتين ، وصلّى عليه أخوه المتوكل ، ودفن بالهارونى [2] ، وكان عمره ستًا وثلاثين سنة وشهورًا ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، وكان يبالغ فى الإكرام للعلويين والإحسان إليهم ، ولما حجّ فرّق فى الحرمَيْن أموالاً عظيمة ، حتى إنه لم يبق فى الحرمين أيامَ الواثق سائل ، ولمّا بلغ أهلَ المدينة موتُه كانت نساؤُهم تخرج إلى البقيع فى كل ليلة ويندبنه لفرط إحسانه إليهم ، وقال القاضى يحيى بن أكثم [3] : ما أحسن أحَدٌ من خلفاء بنى العباس إلى آل المُطَّلِب ما أَحْسَنَ إليهم الواثق ، ما مات وفيهم فقير ، وكان محبوبًا عند الناس ، جميل الصورة حسن الجسم ، ولم يَرَ فى أيامه نكدًا ، وكان يجالس العلماء والصلحاء ويحسن إليهم ويعظِّمُهم . فهذا هو التاسع من خلفاء بنى العباس ، فمولانا السلطان

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل يستقيم بها السياق ، هذا وقد جاء فى دول الإسلام للذهبى ١ : ٩٩ — أنه خلف ثمانين ألف فرس ومثلها من الجمال والبغال ، وجاء فى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٥ ومات عن ثمانية بنين وثمانى بنات .

(٢) الهارونى : مقبرة بدمشق .

(٣) هو قاضى القضاة يحيى بن أكثم المروزى البغدادى مات سنة ٢٤٢ هـ — الذهبى — دول الإسلام ١ : ١٠٧ .

المؤيّد كذلك هو التاسع من سلاطين التّرك ، فنرجو من الله تعالى أن يُعْطَى ما أُعْطِي له من السرور وعدم النكد فى أيامه – إن شاء الله تعالى –

وأما دولة الفاطميين :

فأوّلهم المهدى أبو محمد عُبَيْد الله بن الحسن بن محمد ابن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب – عَلَى زَعْمِهِم – وقال ابن خلّكان : والمحققون ينكرون دعواه فى النسب . وقال ابن كثير : قد كتب غيرُ واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الإسفرايينى[1] والقاضى الباقِلّانى[2] ، وأبو الحسين القُدُورى[3] : أن هؤلاء الأَدْعِياء ليس لهم نسبٌ فيما يزعمونه ، وإن والد عُبيد الله هذا كان يهوديًّا صبّاغًا بسَلَمْية[4] وكان ظهور المهدى بقَيْرَوَان[5] فى سنة ست وتسعين ومائتين .

(١) هو أبو حامد أحمد بن طاهر الإسفراييني : من كبار فقهاء الشافعية ، وإليه انتهت رياسة المذهب فى عصره ، ولد سنة ٣٤٤ ﻫ وتوفى فى شوال سنة ٤٠٦ ﻫ . طبقات الفقهاء للشيرازى ١٠٣

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن أبى بكر القاضى المعروف بالباقلانى . من كبار متكلمى الأشاعرة ، ومن رؤساء المذهب المالكى فى الفقه . توفى فى القعدة سنة ٤٠٣ ﻫ – ابن خلكان – وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٨ .

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، الفقيه الحنفى . انتهت إليه رياسة الحنفية . ولد سنة ٣٦٢ ﻫ وتوفى فى رجب سنة ٤٢٨ ﻫ –
اللباب ٢ : ٢٤٧ وطبقات الحنفية للقرشى ١ : ٩٣

(٤) سلمية : بلدة من أعمال حماة .
ياقوت – معجم البلدان ٣ : ١٢٣ .

(٥) القيروان : مدينة فى تونس أنشأها عقبة بن نافع سنة ٦٧٠ م فصارت عاصمة أفريقية .
المنجد – أعلام الشرق والغرب ٤٢٦ .

وزالت دولة بنى العباس بتلك الناحية من هذا الحين إلى أن هلك العَاضِد فى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتوفى المهدى - بالمهديّة [١] التى بَنَاها فى أيامه - ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

الثانى : القائم بأمر الله أبو القاسم . ولما توفى [والده] [٢] كتم أمره سنةً حتى دبّر ما أراده من الأمور ، ثم أظهر ذلك ، وعزّاه الناس فيه ، وكان شهمًا كأبيه ، فتح البلاد ، وأرسل السّرايا إلى بلاد الرّوم ، وطلب أخذ الدِّيَار المصرية ، فلم يتفق له ذلك ، وإنما جرى ذلك على يد ابن ابنه المعز الفاطمى الذى بنى القاهرة المعزيّة ، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بالمهديّة ، وله ثمان وخمسون سنة ، وكانت أيامه اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام .

الثالث : المنصور إسماعيل بن القائم ، ويُكَنّى أبا الظاهر ، وهو الذى بنى المنصورية بالمغرب ، وتوفى فى آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وله أربعون سنة ، وكانت أيامه سبع سنين وستة عشر يومًا .

الرابع : المعز واسمه مَعَد بن المنصور ، وبويع له وعمره أربعٌ وعشرون سنة ، وهو الذى بنى القاهرة المعزيّة ، وكان

---

(١) المهدية : مدينة قرب القيروان اختطها المهدى سنة ٣٠٣ هـ - ياقوت معجم البلدان ١٨ : ٢٢٩ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٨٠

قد سَارَ جوهر [1] غلامُ والده المنصور إلى مَصر ، فسار فى جيش فوصل إلى الديار المصرية يوم الثلاثاءِ سابع عشر رمضان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وطبوله تضرب ، وأعلامه تخفق ، وحمول المال بين يديه ، وهو ألف وخمسمائة صندوق ، فنزل موضع القاهرة ، واستولى [عليها] [2] بغير قتال ولا ضرب ولا ممانعة ، وذلك لأنه لما مات كافور الإخشيدى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة اختلفت الآراء بمصر ، فبلغ ذلك المعزّ وجهز هذا الجيش ، وهربت العساكر الإخشيديَّة قبل وصول جوهر ، فلما استولى عليها أقام الدَّعْوَة للمعز فى الجامع العتيق [3] فى شوال منها ، وقال ابن كثير : أَمَرَ جوهر المؤذنين بالجامع العتيق وبجامع ابن طولون [4] أن يؤذنوا «بحى على خير العمل» ، وأن يَجْهَرَ الأئمة بالبسملة ، ثم قال : وفى هذه السنة — أعنى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة — شرع جوهَر القائد فى بناءِ القاهرة المُعِزِّيَّة ، وبنى القصرين [5] ،

---

(١) هو أبو الحسين جوهر بن عبد الله . القائد المعزى المعروف بالكاتب أو جوهر الرومى . أوجوهر الصقلى مات سنة ٣٨١ هـ .
ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٤ : ٢٨ — ٣٣ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) الجامع العتيق : هو جامع عمرو بن العاص .

(٤) بناه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ على جبل يشكر — نسبة إلى يشكر بن جزيلة من لخم . وكان خطة لهم — وأنفق عليه مائة وعشرين ألف دينار من كنز وجده : وليس فيه عمود .
انظر صبح الأعشى للقلقشندى ٣ : ٣٤٠ و ٣٤١ .

(٥) المراد بهما القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى .
انظر الخطط لعلى مبارك ٢ : ١٤ وما بعدها .

وكتبت لعنة الشيخين[١] على أبواب الجوامع والمساجد ، ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولةُ بنى أيّوب ، ثم سيّر جوهر جيشًا كثيرًا مع جعفر بن فَلاَح[٢] إلى الشام فاستولى على الشام ، وخطبوا فيها للمعز ، فمسكوا جماعة من الأمراءِ الشاميّة والمصريّة ، وأرسلوهم إلى جَوْهَر فى مصر ، فحملهم جَوْهَر إلى المعزّ بأفريقية . ثم فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة دخل المعز إلى الديار المصرية ، وصحبته تَوَابيتُ آبائِه فى الخامس من رمضان من هذه السنة ، فنزل بالقصرين ، وأول حكومة انتهت إليه أنّ امرأة كافور الإخشيدى تقدمت إليه ، فذكرت أنها كانت أودعت عند يهودى صَوّاغ[٣] قباءً من لؤلؤ منسوج يالذهب ، وأنه أنكره ، فاستحضره وقرّره فجحد اليهودى ذلك ، فأمر المعز أن يحفر داره فحفروها فوجدوا القباءَ قد جعلها فى جرّة فدفنها[٤] ، فسلمه المعز إليها فقدمته إليه وعرضته عليه ، فأبى أن يقبله منها وردّه عليها ، فاستحسن ذلك منه الناسُ .

---

(١) أى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٢) هو الأمير جعفر بن فلاح أحد قواد المعز المشهورين وكان النصر حليفه فى كافة الفتوح إلى أن غلب على دمشق فملكها وأقام بها إلى سنة ٣٦٠ ﻫ . وقصده الحسن بن أحمد القرمطى المعروف بالأعصم ، فخرج إليه وهو عليل ، فظفر به القرمطى وقتله وقتل كثيراً من أصحابه . ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٤ : ٣١ وهامشها .

(٣) أى يصوغ الذهب والفضة .

(٤) كذا بالأصل — والعبارة فى البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٢٧٤ — والنقل منه « قد جعله فى جرة ودفنه فى بعض المواضع من داره » .

ثم توفى المعز فى اليوم السابع والعشرين من ربيع الآخرة من سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وعمرُهُ خمس وأربعون سنة ، وكانت مدة أيامه فى الملك ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر ، وكان مُنَجّمًا يعتمد ما يرصد من حركات النجوم .

الخامس : العزيز ، واسمه نِزار أبو المنصور ، وَلِىَ العهد بمصر يوم الخميس [٢٨] رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وهو الذى اختط أساس الجامع[١] بالقاهرة مما يلى باب الفتوح ، وحُفِرَ وبُدِئَ بعمارته سنة ثمانين وثلاثمائة فى شهر رمضان . وفى أيامه بُنِى القصرُ بالبحر بالقاهرة . لم يبن مثله فى شرق ولا غرب ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة ، والقصور بعين شمس ، وكان أسمر أصّهب الشعر ، أعين أشهل ، عريض المنكبين حسن الخلق ، لا يؤثِر سفك الدّماءِ ، كريمًا شجاعًا ، حسن العفو عند المقدرة ، بَصِيرًا بالخيل ، والجارح من الطير ، مُحِبًّا للصيد ، مُغْرًى به وبصيد السّباع ، ويَعْرِفُ الجوهر والبَزّ[٢] ، وكان أديبًا فاضلاً ، قال ابن خلكان : فتحت له حمص وحماة وحلب ، وشيزر ، وخطب له بالمَوْصِل وأعمالها فى المحرّم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وخطب له باليَمَن ، ولم يزل

(١) أى جامع الحاكم . انظر ماسبق . ص .

(٢) البز ــ السلاح أو الثياب من القطن والكتان .
(محيط المحيط)

فى سلطانه وعِظَم شأنه ، إلى أن خرج إلى بلبيس متوجهًا إلى الشام [1] ، فابتدأت به العلّة فى العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب ــ يوم الأحد لخمس بقين من رمضان من السنة المذكورة ــ إلى الحمام بمدينة بُلْبيس ، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبى الفتوح بَرْجَوَان [2] ، وكان صاحب خَزائنه بالقصر ، فأقام عنده ، وأصبح يوم الاثنين فاشتدّ به الوجع يومَهُ ذلك ، وصبيحة نهار الثلاثاء ، وكان مرضه من حصاة [3] وقُولَنْج ، واستدعى ولَدَه الحاكِم وخاطبه بالعهد والولاية . ولم يزل العزيز فى الحمّام والأمر يشتد به إلى بين الصّلاتين من ذلك النهار ، وهو يوم الثلاثاء الثامن والعشرون من رمضان من السنة المذكورة ، فتوفى فى مَسْلَخ [4] الحَمَّام ، ثم ترتب موضِعَهُ ولدُه الحاكم أبو علىّ المنصور . وكانت ولادته يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بالمهدية من أرض أفريقية . وقال ابن كثير : توفى عن ثنتين وأربعين سنة ، منها ولايته بعدأبيه إحدى وعشرين سنة وخمسة

(١) يقول أبو الفدا فى المختصر فى أخبار البشر ٢ : ١٣١ « إنه كان قد برز إليها لغزو الروم . »

(٢) هو أبو الفتوح برجوان الخادم . وكان خصياً أبيض تام الخلقة ، ربى فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه أمر القصور ، وهو الذى تكفل بالحاكم بأمر الله لما تولى الخلافة صغيراً ، ولازم الحاكم إلى أن قتله فى سنة ٣٩٠ هـ .

على مبارك ــ الخطط ٣ : ٣٤ .

(٣) الكلمة مطموسة فى الأصل ــ وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٢

(٤) المراد حوض الحمام . فقد جاء فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٣ « أن الطبيب وصف له دواء يشرب به فى حوض الحمام ، وغلط فيه . فشربه فمات من ساعته » .

أشهر وعشرة أيام ، وكان جَمَع من الأموال شيئاً عظيماً ، وكان الوزير أبو الفتوح يعقوب بن إبرٰهيم بن هارون بن داود ابن كِلِّس مات فى أيامه ، وحَصَلَ له منه شئٌ كثير . قال ابن زولاق[1] فى تاريخه . وهو أول من وزَرَ للفاطميين بالديار المصرية ، وكانت داره بالقاهرة فى موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على المعروف بابن شُكر المختصة بالطائفة المالكية ، وإن الحارة المعروفة بالوزيرية التى بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه لأنَّهم كانوا يسكنونها ، ولما مرض عاده العزيز[2] ، ووصّاه الوزير فيما يتعلق بمملكته . ولما مات أمرَ العزيزُ أن يدفن فى داره ، وهى المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر ، فى قبة كان بناها ، وصلى عليه ، وألْحَدَهُ بيده فى قبره ، وانصرف حزيناً لِفَقْدِهِ ، وأمر بِغَلْق الدَّواوين أياماً من بعده .

وكان إقطاعه من العزيز فى كل سنة مائةَ ألف دينار ، وَوَجَد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ، وَوَجَد له جوهراً بأربعمائة ألف دينار ، وبزًّا من كل صنف بخمسمائة ألف دينار ، وفى تاريخ النُّويرى : وَجَد له أوانى من كل صنف بخمسمائة ألف دينار ، وثمانمائة حظيَّة خارجاً عن

---

(١) هو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن على بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان ابن زولاق الليثى المصرى ، من كبار المؤرخين القدماء . توفى سنة ٣٨٧ هـ .
ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ١ : ١٣٤

(٢) فى الأصل « الوزير » وهو خطأ والصواب ماهنا .

جُوَارى الخدمة ، ويقال : إنه كُفِّن وحُنِّطَ بما مبلغُهُ عشرة آلاف دينار . وقال ابن عساكر فى تاريخه : كان يَهُودِيًّا من أَهل بغداد ، خَبيثًا ذا مَكْر ، وله حِيَلٌ ودَهَاء ، وفِطْنَةٌ وذكاء . وكان فى قديم أَمره خرج إلى الشام ، ونزل إلى الرّملة[1] ، وصار بها وكيلاً ، فكسر أَموال التجار ، وهرب إلى مصر ، فخدم كافور الإِخشيد ، فرأى منه فطنة وسياسة ، ومعرفة بأَمر الضِّيَاع ، فقال : لو كان مسلماً لصلح أَن يكون وزيرًا ، فطمع فى الوزارة ، فأَسلم يوم جمعة فى جامع مصر[2] ، فلما عرف الوزير أَبو الفضل جعفرُ بنُ الفُرَات قَصَدَهُ فهرب إلى المَغْرِب ، واتصل بيهود كانوا مع المُعِزّ ، وخرج معه إلى مصر ، فلما مات المُعِزُّ ، وقام ولدُهُ العزيز استوزر ابن كِلِّس هذا فى سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فلم يزل يُدَبِّرُ أَمْرَهُ إلى أَن هلك فى ذى القعدة من سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكُفِّنَ فى خمسين ثوبًا ، ويقال إنه رثاه مائة شاعر ، ويقال إنه مات على دينه وكان يظهر الإِسلام ، والصحيح أَنّه أَسْلَمَ وحَسُن إسلامه ، وكِلِّس بكسر الكاف واللّام المشدّدة ، وفى آخره سين مهملة .

وكان العزيز استوزر بعده رجلاً نَصْرَانيًّا يقال له عيسى ابن نسطورس ، وآخرَ يهوديًّا اسمه ميشا ، فعزَّ بسببهما أَهل

(١) الرملة : مدينة بفلسطين . ويقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٤ : ١٥٨ إن يعقوب هذا « انتقل إلى الرملة وعمل سمساراً فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر » .

(٢) المراد جامع عمرو بن العاص .

هاتين الملّتين فى ذلك الزمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأةٌ فى قصة فى حاجة لها تقول : بالذى أعز النصارى بعيسى ابن نسطورس ، واليهود بميشا ، وأذلّ المسلمين بك لَمَا كَشَفْتَ عن ظلامتى[1] . فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين ، وأخذ من النصرانى ثلاثمائة ألف دينار .

السادس : الحاكم بأمر الله أبو علىّ المنصور بن العزيز بن المعزّ ، فذكرنا أنه تولى يوم وفاة أبيه ، وكان من أكبر الزّنَادِقَة .

قال ابن خلّكان : كان جَوَادًا بالمال ، سَفَّاكاً للدِّمَاءِ ، قتل عددًا كثيرًا من أماثل أهل دولته ، وغيرهم وغيرهم ، وكانت سيرتُهُ من أقبح السِّيَر ، يخترع كل وقت أحكامًا يحمل الناس على العمل بها ، منها أنه أمر الناس فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بِكَتْب سَبِّ الصحابة رضى الله عنهم فى حيطان المساجد ، والمقابر[2] ، والشوارع ، وكتب إلى سائر أعمال الدّيار المصرية يأمرهم بالسبّ ، ثم أمر بقلع ذلك ، ونهى عنه فى سنة سبع وتسعين ، ثم تقدَّم بعد ذلك بمدة يسيرة بِضَرْب مَنْ يسبّ الصحابة وتأديبِهِ . ومنها أنه أمر بقتل الكلاب فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فلم يُرَ كلب فى الأسواق والشوارع والأزقة إلاّ قتل ، ومنها أنه أنهى عن بيع الفُقَّاع[3] ، والملوخيا ،

(١) والعبارة فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١١٦ « إلا نظرت فى أمرى ؟ » .

(٢) فى الأصل « والقياسر » وما هنا عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩ .

(٣) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير . سمى بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات . هامش وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩

والسمك الذى لا قشر له ، وأمر بالتشديد فى ذلك والمبالغة . وظهر على جماعة أَنَّهم باعوا شيئًا منه ، فضربهم بالسياط ، وطِيفَ بهم ، ثم ضَرَبَ أَعناقَهُم ، ومنها أنه فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة نهى عن بيع الزَّبيب قليلهِ وكثيرهِ على اختلاف أنواعه ، ونهى التُّجَّار عن حمله إلى مصر ، ثم جمع منه [جملة][1] كثيرة وأحرق جميعها . ويقال : إن مقدار النفقة التى غرموها على إحراقه كان خمسمائة دينار ، وفى هذه [٢٩] السنة أيضاً منع من بيع العنب ، وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا كرومها ، قيل إنه قَطَع كرومًا قيمتها أربعون ألف دينار . وكان فى مخازن الجيزة خمسة آلاف جرّة عَسَل ، قاموا بكسرها وسكبها فى النيل . وفى هذه السنة أمر النَّصارى واليهود – إلا الحَبَابِرَة – بلبس العمائم السوداء ، وأن يحمل النصارى فى أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعًا ووزنه خمسة أرطال ، وأن يحمل اليهود فى أعناقهم قرامى خشب على وزن صلبان النصارى ، ولا يركبون شيئًا من المراكب المحلاّة ، وأن يكون ركوبهم من الخشب ، ولا يستخدمون أحدًا من المسلمين ، ولا يركبون حمارًا مُكَارِيُّهُ [من][2] المسلمين ، ولا سفينة نُوتِيُّها مسلم ، وأن يكون فى أعناق النصارى إذا دخلوا [الحمام][3]

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل . والعبارة فى « ابن خلكان – وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٠ ، لمكار مسلم » .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٠ .

الصلبان ، وفى أعناق اليهود الجلاجل ؛ ليتميزوا بها عن المسلمين ، ثم أفرد حمامات لليهود والنصارى ، وحطَّ على حمامات النصارى الصُّلبان ، وعلى حمامات اليهود صورَ القَرَامِى ، وذلك فى سنة ثمان وأربعمائة ،

وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقُمامَة[1] وجميع الكنائس بالديار المصرية ، وَوَهَب جميع ما فيها من الآلات وجميع مَالها من الأرياع والأحباس لجماعة من المسلمين[2] . ثم رسم ألاَّ يتكلم أحد فى النجوم ، وأن يُنْفَى المنجمون من البلاد ، ثم عقد عليهم توبةً ، وأعفاهم عن النَّفْى ، وكذلك أصحاب الغِنَاءِ والملاهى .

وفى شعبان من السنة المذكورة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهارًا ، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف لَهُنَّ ، ومنعهن عن الحمامات ، ولم تزل النساءُ ممنوعة عن الحمام إلى أيام ولده الظاهر ، وكانت مدة المنع سبع سنين وسبعة أشهر ،

ثم أمر ببناءِ ما هدم من الكنائس ، وردِّ ما كان أُخِذَ من أحباسها .

وقال ابن الجوزى فى تاريخه المنتظم : ثم زاد ظلم الحاكم

---

(١) موضع هذه الكنيسة بيت المقدس وهى فى وسط البلد والسور محيط بها .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٧٨

(٢) يلاحظ أن المؤلف قد نقل أخبار الحاكم بأمر الله عن ابن خلكان كما ذكر ذلك فى ص ١٥٦ ومع ذلك فإنه قد اختصر بعض الجمل ، ولتحقيق ذلك انظر وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٠ وقارنه بما هنا .

وعنَّ له أَن يَدَّعِي الرُّبوبِيَّة ، فصار قوم من الجُهَّال إذا رأوه يقولون : يا واحدنا يا أَحدنا يامحيي يامميت .

وقال ابن كثير فى تاريخه : والحاكِمُ هو الذى ينسب إليه الفرقة الضالَّة المضلَّة الزنادقة الحاكِمِيَّة ، وإليه نسب أَهل وادى التيم[1] من الدُّرْزِيَّة أَتباع ختكين غلام الحاكم الذى بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المَحْض فأجابوه ، وكان قد أَمر الرعيّة إذا ذكره الخطيبُ على المنبر أَن يقوم الناس على أَقدامهم صفوفا ؛ إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه ، وكان يفعل هذا فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين ، وكان أَهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرّوا سُجَّدًا حتى إنه ليسجد بسجودهم مَنْ فى الأَسواق من الرعَاع وغيرهم .

وأَمر فى وقت أَهل الكنائس بالدخول فى دين الإسلام كرهًا ، ثم أَذن لهم فى العَوْدِ إلى أَديانهم ، وابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ، ثم قتلهم وخرَّبها ، وأَلزم الناس بإغلاق الأَسواق نهارًا وفتحها ليلاً ، فامتثلوا ذلك دهرًا طويلا حتى اجتاز مرةً بشيخ يعمل [فى][2] التجارة فى أَثناء النهار وعنده مسرجة يسرج عليها ، فوقف عليه فقال : أَلَمْ أَنهكُم عن هذا ؟ فقال : ياسيدى أَما كان الناس يسْهَرُون لما كانوا يتعيشون بالنهار ، فهذا من جملة السَّهر ، فتبسَّم وتركه . وقد كان يعمل

(١) وادى التيم : هو وادى تيم الله بن ثعلبة ، ويقع غربى دمشق . من أعمال بنياس . ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٤ : ١٨٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الحِسْبَة[1] بنفسه ، يدور فى الأَسواق على حمار له — وكان لا يركب إلا حمارًا — فمن وجده قد غشَّ فى معيشة أَمر عبدًا أَسود معه ، فقال له : مسعود أَن تفعل فيه الفاحشة العظمى ، وهذا أَمر مُنْكَرٌ ملعون لم يسبق إليه أَحد .

وقال ابن خِلِّكان : وهو الذى بنى الجامع الكبير [2] بالقاهرة بعد أَن كان شرع فيه والده العزيز بالله ، فأَكْمَله وَلَدُه ، وبنى جامع راشدة[3] بظاهر مصر ، وأَنشأَ عدة مساجد بالقرافة وغيرها ، وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضيَّة والسُّتُور والحُصْر ماله قيمة طائِلة ، وكان يحب الانفراد ، والركوبَ على بهيمة وحده ؛ فاتفق أَن خرج ليلة الاِثنين السابع والعشرين من شهر شوال سنة إِحدى عشرة وأَربعمائة إلى ظاهر مصر ، وطاف ليلته كلَّها ، وأَصبح عند قبر الفقاعى[4] ، ثم توجه إلى حُلْوَان ومعه ركابيّان ، فأَعاد [أَحدهما][5] مَعْ تسعة

---

(١) أى يقوم بأعمال وظيفة المحتسب .

(٢) المراد به جامع الحاكم الذى يعرف بجامع الأنور — المواعظ والاعتبار للمقريزى ٢ : ٢٧٧ .

(٣) عرف هذا الجامع بهذا الاسم لأنه بنى فى خطة راشدة بن أدب بن جديلة من لخم ، وهذه الخطة بجبل الرصد ، وموضعه الآن مساكن قائمة غربى اسطبل عنتر بأثر النبى جنوبى مصر العتيقة — المقريزى — المواعظ والاعتبار ٢ : ٢٨٢ .

(٤) كان هذا القبر فى طريق الذاهب من القاهرة إلى البساتين وموضعه فى الفضاء الواقع غربى جبانة سيدى عقبة جنوبى الإمام الشافعى — انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٨٥ .

(٥) مابين الحاصرتين إضافة عن ابن خلكان فى وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٢

من العرب السُّوَيْديِّين[1] ثم أعاد الركابيَّ الآخر ، وذكر هذا أنه خَلَّفَه عند القبر والمقصبة ، وبقى الناس [على رسمهم][2] يخرجون يلتمسون رجوعه على عادتهم ومعهم دوابٌّ الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، ثم خرج يوم الأحد ثانى ذى القعدة مُظَفَّر صاحب المظلة ، وخطىّ[3] الصقلبىّ ، ونسيم متولى الستر، وابن أتشتكين[4] التركى صاحب الرمح ، وجماعة من الكتاميين والأتراك ، فبلغوا دير القَصِير[5] والموضع المعروف بحُلْوَان[6] ، ثم أمعنوا فى الدخول فى الجبل ، فبينا هم كذلك إذ أبصروا حمارَهُ الأَشهَبَ الذى كان راكبًا عليه المدعو بالقمر[7] ، وهو على قرن الجبل وقد ضربت يداه بسيف

---

(١) نسبة إلى رجل من قضاعة يسمى سويد بن الحارث بن حسين بن كعب بن عليم .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٨٥ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ .

(٣) كذا فى الأصل . وهو فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ « خطلبا »

(٤) إعجام اللفظ من المرجع السابق ٤ : ٣٨٢ .

(٥) دير القصير : جاء فى الخطط للمقريزى ٢ : ٥٠٤ — ٥٠٩ ضمن كلامه عن الأديرة: ان هذا الدير بنى أعلى الجبل على سطح فى قلته ، ويطل على الصحراء وعلى النيل وعلى القرية التى تعرف حالياً بالمعصرة بين طره وحلوان — ويعرف هذا الدير باسم دير البغل ، وجاء فى موضع آخر: دير بخنس القصير وهو المعروف بدير القصير الذى هو ضد الطويل ويسمى أيضاً دير هرقل ، وقد خرب من زمن بعيد وموقعه فوق الجبل شرقى محطة المعصرة .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٩١ .

(٦) فى الأصل بسلوان وما هنا من النجوم الزاهرة ٤ : ١٩١ ، وحلوان مدينة جنوب القاهرة كان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى فى أثناء ولايته على مصر نيابة عن أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، وبها توفى وبها ولد الخليفة عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه —
ابن خلكان — وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٣ .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفى كتاب الحاكم بأمر الله وآثار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ٢١٥ (حماره الأشهب المدعو بالفخر) .

فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه ، فتبعوا الأثر ، فإذا أثر الحمار فى الأرض ، وأثر راجلة خلفه وراجلة [1] قدامه ، فلم يزالوا يقصّون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرق حُلْوَان ، فنزل إليها بعض الرجالة ، فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب ، ووجدت مُزررَّة لم تحل أزرارها ، وفيها آثار السكاكين ، فأخذت وحملت إلى القاهرة ولم يُشَكّ فى قتله ، مع أن جماعة من المُغَالِينَ فى حُبِّه ، السخيفى العقول يظنون حياته ، وأنه لابُدَّ أن سيظهر ، ويحلفون بغيبة الحاكم ، وتلك خيالات فاسدة . ويقال إن أُخته ست الملك دسَّت عليه من يقتله ، وكان عمره سبعًا وثلاثين سنة ، ومدة ولايته خمسًا وعشرين سنة ـ والله أعلم ـ

السابع : الظاهر لإعزاز دين الله أبوهاشم على ، كانت ولايته بعد فقد أبيه الحاكم ، وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيامًا .

قال ابن خلكان ، سمعت أنه توفى ببستان الدِّكَّة بالمقس وكان له [٣٠] مصرُ والشام ، والخطبةُ بأفريقية ، وكان جميل الصورة منصفًا للرَّعِيَّة ، وكانت وفاته فى شعبان من سنة [سبع] [2] وعشرين وأربعمائة .

الثامن : المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ وَلَدُ الظاهر ، واستمرت أيامُه ستين سنة ، ولم يَتَّفِقْ هذا لخليفة قبْلَهُ ولا بَعْدَه ، وتوفى

(١) كذا فى الأصل ، وفى وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ (وراجل خلفه وراجل قدامه) .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٥٩ .

ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وكان عمره سبعًا وستين سنة .

التاسع : ولده أبوالقاسم أحمد، الملقب بالمستعلى ، وكان جوادًا ، كريمًا حليمًا ، لم يسلك فى دينه وأحوال رعيته كما سلك آباؤه ، وكان الناس فى أيامه ــ وإن كانت قليلة ــ فى أمن ، فهذا هو التاسع من خلفاء العُبَيْدِيِّين ، الملقّب بالمستعلى المشتق من العُلُوِّ . . فكذلك مولانا السلطان المؤيد تاسع الملوك التُّرك ، فنرجو من الله تعالى أن يزداد استعلاؤه وعلوّه فى الدنيا والآخرة .

وللتفاؤل بالأسماءِ أثرٌ مأثور غير منكور . وكان أبو القاسم شاهنشاه الملقب الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستعلى ، وقبله وزير أبيه المستنصر ، وكان وزير السَّيْفِ والقلم ، وإليه قضاء القضاة ، والتقدم على الدّعاة . ولما توفى مقتولا فى فى سلخ رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، خلّف من الأموال مالم يسمع قبلها . قال صاحب الدوَل المنقطعة[1] : خلف ستمائة ، ألف ألف دينار عَيْنًا ، ومائتين وخمسين إردبًا دراهم ، [من][2] نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى ، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسمار من ذهب ، وزنُ كل مسمار

(١) الدول المنقطعة : كتاب فى التاريخ ألفه الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن كمال الدين أبي المنصور ظافر بن حسين الأنصارى الخزرجى المصرى المتوفى سنة ٦٣٣ هـ .
فهرس الكتب العربية ٥ : ١٨٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

مائة مثقال ، فى عشرة مجالِس فى كل مجلس عشرة مسامير ، على كل مسمار منديل مشدود مذهب ملون من الأموال ــ أيما أَحبّ منها لبسه ــ وخمسمائة صندوق كسوة لخاصة نفسه من دبيق[1] ودِمياط ، وخلّف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والتجمل[2] والحلى مالم يعلم قدره إلا الله ، وخلف خارجا من ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يُسْتَحَى من ذكر عدده ، وبلغ ضمان أَلبانها فى سنة وفاته ثلاثين أَلف دينار ، وَوُجِدَ فى تركته صندوقان كبيران فيهما إبرٌ من ذهب برسم النساء والجوارى ، وكان يسكن بمصر فى دار الملك[3] التى على بحر النيل ، وهى اليوم دار الوكالة . وقال النُّوَيْرِى : لما قتل نقل ما خلَّفَه الخليفةُ الفاطمىٌّ إلى حواصله وخزائنه ، وهو ابن أمير الجيوش الذى تسميه العامة مرجوش ، وإليه تنسب قيسارية أَمير الجيوش بالقاهرة ، وسوق المرجُوشى ، وكان أَرمنى الجنس اشتراه جمال الدَّولة ابن عمار ، وتربَّى عنده وتقدم لسنه .

(١) دبيق : بلدة مصرية قديمة كانت تقع على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس ، وموضعها اليوم تل دبيق شمال شرقى صان الحجر ، وإليها ينسب نوع من الأقمشة الحريرية المزرقشة.

هامش ابن تغرى بردى ــ النجوم الزاهرة ٤ : ٨١ .

(٢) اللفظ غير منقوط فى الأصل .

(٣) دار الملك : كانت من جملة مناظر الفاطميين ، بناها الأفضل أمير الجيوش وانتقل إليها من دار القباب ، وحول إليها الدواوين من القصر . وكانت تقع على شاطىء النيل فى آخر مصر القديمة بجوار المدرسة المعزية التى بناها المعز أيبك سنة ٦٥٤ هـ ، ومحلها فى عصر المقريزى جامع عابدى بك الشهير بجامع رويش ، ومكانها حالياً جملة مبانى قسم شرطة مصر القديمة ومكتب التلغراف والكنيسة الإنجليزية والوكالة وقف أبى رابية .

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٩٢.

وأَما دوْلة بنى بُوَيْه ،

فأَوّل الملوك منهم عماد الدولة أَبو الحسن على بن بُوَيْه ابن فنّاخُسْرو الدَّيْلَمِى وبقية النسب قد مرّ [فى][1] صاحب بلاد فارس ، وكان أَبوه صياداً وليست له معيشة إلا من صيد السمك ، وكانوا ثلاثة إِخوة ، عماد الدَّولة أَكبرهم ، ثم ركن الدَّولة الحسن ، ثم معزّ الدَّولة ، والجميع ملكوا ، وكان عماد الدَّولة سبب سعادتهم ، وانتشار صيتهم ، واستَوْلَى على البلاد ، وملكوا العِرَاقَيْن والأَهواز وفارس ، ويقال اتَّفَقَت لعماد الدَّوْلة أَسبابٌ عجيبة كانت سبباً لِثَبَاتِ ملكه ، منها أَنَّه ملك شِيرَاز ، فى أَول مُلْكِهِ اجتمَع أَصحابُه وطالبوه بالأَموال ، ولم يكن معه ما يرضيهم به ، وأَشرف أَمرُه على الانحِلال فاغْتَمَّ لذلك . فبينما هو متفكرٌ قد استلقى على ظهره فى مجلس قد خلا فيه للفِكْرَة إِذْ رآى حيَّةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعا آخر ، فخاف أَن تسقط عليه ، فدعَا الفراشين وأَمرهم بإِحضار سُلَّم ، وأَن تُخْرِج الحيَّة ، فلما صعَدُوا وبحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يُفْضِى إِلى غرفة بين سقفين ، فعرّفوه ذلك ، فأَمرهم بفتحها فَفُتِحَت ، فوجد عدَّةَ صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة أَلف دينار ، فَحُمِلَ المالُ بين يَدَيْهِ ، فسُرَّ بِهِ وأَنفقه فى رجاله ، وثَبَتَ أَمرُه بعد أَن كان قد أَشفى على الانخرام ، ثم إِنه قطع ثياباً ، وسأَل عن خياط

(1) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

حاذق ، فَوُصِف له خياطٌ كان لصاحب ٱلبَلَدِ قَبْلَه ، فأَمر بإِحضاره ، وكان أَطروشًا[1] ، فوقع له أَنه قد سُعِيَ بِهِ فى وديعةٍ كانت عنده لصاحبه ، وأَنه طُلِبَ لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف أَنه ليس عنده إِلاَّ اثنا عشر صندوقًا لا يَدْرى ما فيها ، فَعَجِب عمادُ الدّولة من ذلك ، ووجّه معه من يحملها ، فوجد فيها أَموالاً وثيابًا بجملة عظيمة .

فكانت هذه الأَسباب من أَقْوَى دلائل السعادة له ، ثم تمكّنت حاله ، واستقرت قواعدُه ، ولم يزل مسرورًا إِلى أَن توفى يوم الأَحد لأَربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأُولى سنة ثمان وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين وثلاثمائة بشِيرَاز . وأَقام فى ٱلملك ست عشرة سنة .

الثانى : ركن الدّولة أَبو على الحسن بن بُوَيْه ، كان صاحب أَصْبَهان والرّى وهَمذَان ، وجميع عراق العجم ، وكان ملِكًا جليلَ القَدْر ، عالى الهمة ، وتوفى ليلة السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة بالرّى ، وملك أَربعًا وأَربعين سنة وشهرًا وتسعة أَيام .

الثالث : مُعِزُّ الدّولة أَبو الحسين أَحمد بن بُوَيْه ، كان صاحب العراق والأَهواز . وقال ابن الجوزى[2] : كان فى أَول

---

(١) المراد بالأطروش قليل السمع .

(٢) هو عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج جمال الدين بن الجوزى الحنبلى الفقيه المؤرخ — مات ببغداد سنة ٥٩٧ هـ .

هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ٢١٩ .

أمره يحمل الحَطَبَ على رأسِهِ ، ثم ملك هو وإخوته البلاد ، وآل أمرهم إلى ما آل ، وتوفى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة ببغداد ، ودفن فى داره ، ثم نقل إلى مشهد بُنِى له فى مقابر قريش .

الرابع : عزُّ الدَّوْلة أبو المنصور بَخْتِيَار ، تولّى مملكة أبيه معزّ الدولة يوم موته ، وتزوّج الإمام الطائع لله [٣١] ابنته شاه دنان(١) على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وكان ملكًا قويًا شديد القوى ، يُمْسِك الثور العظيم بقرنَيْهِ فيصرعه ، وكان متوسعًا فى الإخراجات والكُلَف . ذكر بِشر الشمعى أنه كانت وظيفة وزيره أبى الطَّاهر محمد بن بَقِيَّة(٢) فى كل شهر ألف مَنٍّ من الشمع . وكان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات فى الملك أدَّت إلى الحِرَاب ، فالتقيا يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فقتل عز الدَّولة فى المَصَافِّ ، وكان عمرُه ستًّا وثلاثين سنة ، وحُمِلَ رأسُه فى طَست ، ووضع بين يدى عضد الدَّوْلة ، فلما رآه وضع مِنْدِيلَه على عَيْنَيْهِ وبكى . وملك بغداد بعد قتله ..

---

(١) كذا فى الأصل — وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٩ . « شاه زمان — أو — شاه نار » .

(٢) هو الوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقية ، وقد قتله عضد الدولة تحت أرجل الفيلة ثم صلبه سنة ٣٦٧ هـ وقال فيه الخطيب الشاعر أبو الحسن الأنبارى قصيدته المشهورة التى أولها :

علو فى الحياة وفى الممات   لحق أنت إحدى المعجزات

المرجع السابق ٤ : ١٣٠ .

الخامس : عضد الدَّولة فَنَّاخُسْرو بن رُكن الدَّوْلة أَبِيَ عَلِي الحسن بن بُوَيْه . ولما ملك حصل له مالم يحصل لأَحد من أَهل بيته من سعة الملك ، والاستيلاءِ على الملوك ، وهو أَول من خُوطِبَ بالملك فى الإِسلام ، وأَول من خُطِب له على المِنْبَر ببغداد بعد الخليفة . وكان من جملة أَلقابه ، تاجُ المِلَّة ، وكان فاضلاً محباً للفضلاءِ مشاركًا بعدَّةِ فنون . وصنَّف له الشيخ أَبو على الفارسىّ كتابَ الإِيضاح ، والتكملة فى النحو . وقصَده فحول شُعَراءِ عصره ، فمدحوه بأَحسن المدائح ، فمِنهم أَبو الطيِّب المُتَنَبِّى ، وَرَدَ عليه بشِيراز ، وفيه يقول من قصيدة مشهورة بالهائية :

وقد رأَيت الملوك قاطبــة وسرت حتى رأَيت مَوْلاَها
ومَنْ مَنَــايَاهُم براحتِــهِ يأمرُهــا فيهم وينهــاها
أَبا شجاع بفارس عضد الدو لة فناخسرو شَهنْشَاهــا
أَسامِيًا لم تَزِدْهُ مَعْرِفَــةً وإنمــا لذةً ذكرناهـــا

وكانت لعضد الدولة أَشعار ، فمن ذلك أَبياتٌ من قصيدته التي فيها البيت الذى لم يُفْلِح بعده ، وهى :

ليس شرب الراح إلا فى المطر وغناءٍ من جَوَارٍ فى السحر
غانيــات ســالبات للنهى نَاغِمَاتٍ فى تضاعيف الوتر
مبرزات الكأْس فِي مطلعها ساقيات الرَّاحِ مَنْ فاق البشر
عضدَ الدَّولةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأَملاك غلاَّبَ القدر

فَيُحكى أَنه لمّا احتضر لم ينطق لسانُه إلا بتلاوة :

« ما أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ »[1]. ويقال إنه ما عاش بعد هذه الأَبيات إلا قليلا ، وتوفى بعلّة الصرَع فى يوم الإثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد ، ودُفِن بدار الملك بها ، ثم نقل إلى الكوفة ، ودفن بمشهد أَمير المؤمنين على بن أَبى طالب كرّم الله وجهه ، وعمرُه سبع وأَربعون سنة وأَحد عشر شهرًا وثلاثة أَيام ، وقال ابن كثير : وعضد الدولة أَوَّل من تسمى بشاهنشاه ، ومعناه ملك الملوك . وقد ثبت فى صحيحٍ[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أَوضع اسم — وفى رواية أَخنع[3] اسم — عند الله عز وجل رجل يسمّى ملك الأَملاك ، لا ملك إلا الله عزَّ وجل .

السادس : صَمْصَام الدَّوْلة بن عَضد الدَّولة ، توَلَّى المملكة بعد أَبيه ، وركب إلى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة سبع خلع ، وطوقه وسوَّره وأَلبسه التَّاج ، ولقبه شمس الدَّولة[4] ، وولَّاه ماكان أَبوه يتولَّاه ، واسمه كَالِيجَار المَرْزُبَان ، قتل فى سنة ثمان وثمانين[5] وثلاثمائة ، قتله ابن عمه أَبُونَصر بن بَخْتِيَار ، وكان عمره يوم مات خمسًا وثلاثين سنة . ومدة مُلْكِه تسعَ سنين وأَشْهُرا .

(١) الآية رقم ٢٨، ٢٩ من سورة الحاقة .

(٢) المراد فى حديث صحيح .

(٣) وفى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ : ٨٤ « إن أخنع الأسماء من تسمّى ملك الأملاك » أى أذلها وأوضعها . والخانع ، الذليل الخاضع .

(٤) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٤٣ « شمس الملة » تصويبا عن تاريخ الإسلام للذهبى ومرآة الزمان والمنتظم .

(٥) فى الأصل « ثلاثين » وما هنا من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٣٤ .

السابع : بهاءُ الدَّولة أَبو نصر فَيْرُوز بن عَضُدِ الدَّولة بن بُوَيْه ، وهو الذى قبض على الطائِع الخليفة . [و] [١] جَمَعَ من من الأَموال مالم[٢] يجمعه أَحدٌ من بنى بُوَيْه . وكان يَبْخَل بالدِّرهم الواحد ، ويُؤثِر المصادرات ، وتوفى بأَرَّجَان فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأَربعمائة ، وكانت إمارته أَرْبَعًا وعشرين . سنة وثلاثة أَيام ، [و] [٣] عمره اثنتين وأَربعين سنة ، ملك بعده ابنه أَبو شجاع .

الثامن : أَبو شجاع فَنَّاخُسْرو ، الملقب سلطان الدَّولة ، توفى فى المحرم من سنة خمس عشرة وأَربعمائة بشِيراز ، وعمره اثنتان وعشرون سنة .

التاسع : منهم جلال الدَّولة أَبو ظاهر بنْ بهاءِ الدولة بن عَضُدْ الدولة بن بُويْه ، صاحب بغداد وغيرها من البلاد ، وكانت فيه محبة عظيمة للعلماءِ والعُبَّاد ، يزورهم ويلتمس الدُّعَاءَ منهم . وقد نكب مِرَارًا عديدة ثم يَنْتَصِرُ ، وكان ملكا ذكيا صيتا[٤] عفيفًا ، توفى ليلة الجمعة الخامس من شعبان من سنة خمس وثلاثين وأَربعمائة ، وله من العمر اثنان وخمسون سنة ، وكانت ولايته بغداد وغيرها ست عشرة سنة ، فهذا هو التاسع منهم . فكذلك مولانا السلطان الملك المؤيد تاسع الملوك الترك ، فنرجو

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل « مالا يجمعه » .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها « حيياً »

من الله أن يُرْزق من السعادات أكثر مما رزق[1] جلال الدولة ، وألاَّ يفارقه الجلال ، وينصره ذُو الجلال – بحرمة محمد وآله .

وأما دولة السلاجقة .

فأول ملوكهم : طُغْرُلْبَك ، واسمه محمد بن ميكائيل ابن سلجوق بن دُقَاق ، قال الخطيب[2] : أَوَّل ملوك السلاجقة ببلاد العِرَاق طُغْرُلْبَك . وقال ابن خلكان : وكانت السلاجقة قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما وراء النَّهر بموضع بينه وبين بُخَارى مسافةُ عشرين فرسخًا ، وهم أَتْرَاك ، وكانوا عددًا يَجِلّ عن الحصر والإحصاء ، وكانوا لايدخلون تحت طاعة سلطان ، فإذا قصدهم جمعٌ لاطاقة لهم بهم دخلوا المَفَاوِزَ ، وتحصنوا بالرمال ، فلا يصل إليهم أحد ، وكان السلطان محمود[3] صاحب غَزْنَة كلَّ وقت يوُقِع بهم ، وكان مَسَكَ كبيرَهُم وحبَسَه عنده ، وآخر الأَمر لما توفى السلطان محمود ضعف حال عسكره ، وقويت شوكة السّلاَجقة ، فتفرقوا فى البلاد وملكوها ، وكان طُغْرُلْبَك حليما كريما ،

---

(١) فى الأصل « اكثر مارزق » .

(٢) هو الخطيب البغدادى أبوبكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى أحد الحفاظ المؤرخين توفى سنة ٤٦٣ هـ . له كتب كثيرة منها « تاريخ بغداد » .
انظر الأعلام – للزركلى ١ : ٥٥ ط.أولى .

(٣) هو محمود بن سبكتكين المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٥٧ .

محافظا على الصلوات الخمس بجماعة ، وكان يصوم الاثنين والخميس ، ويكثر الصدقات ويبنى المساجد ، ويقول : أَستحى من الله أَن أَبنى لى دارا ، ولا أَبنى بحذائها مسجدا . ولما تمهّدَت له البلاد ، وملك العراق وبغداد سيَّر إلى الإمام القائم ، وخطب ابنته ، فشقّ ذلك على القائم واستعفى منه ، وتردّدت الرُّسُل بينهما ، وكان ذلك فى سنة ثلاث وخمسين وأَربعمائة ، فلم يجد من [٣٢] ذلك بدًّا وزوَّجه بها ، وعقد العقد بظاهر مدينة تِبرِيز(١) . ثم لمّا دخل بغداد فى سنة خمس وخمسين سيَّر وطلب الزَّفاف ، وحمل مائة أَلف دينار برسم كلفة القماش والمهم ، ثم زفَّت إليه ليلة الاثنين خامس عشر صفَرَ بدار المملكة ، وأَجلست على سرير مُلَبّس بالذهب ، ودخل السلطان إليها فقبّل الأَرض بين يديها ولم يكشف البُرْقُع عن وجهها فى ذلك الوقت حتى قدَّم لها تحفًا لاتوصف ، ولم تُقِم بنتُ الخليفة صحبته إلا ستة أَشهر حتى توفى طُغْرُلْبَك بالرّى يوم الجمعة ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأَربعمائة ، وعمره سبعون سنة ، ونُقل إلى مَرْو ودفن عند أَخيه داود . وقال ابن كثير : طُغْرُلْبَك هو السلطان الملك الكبير . ولما خلع عليه الخليفة ، خلع سبع خلع ، ولقِّب بملك المشرق والمغرب .

---

(١) تبريز ويقال توريز : أشهر مدنأذربيجان وبها كرسى بيت هولاكو ، وكانت عاصمة إيران .

صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ٣٥٧ .

الثانى : جُغْرى بَك داود ، توفى فى سنة خمسين وأَربعمائة ، وكان مقيماً ببَلْخ بإزاءِ أَولاد السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين .

الثالث : السلطان الملك العادل عضد الدّولة أبو شجاع أَلْب أَرْسَلان ، واسمه محمد بن جُغْرِى بك داود بن ميكائيل ابن سلجوق بن دقاق صاحب المملكة المتسعة[و] [1] كان ملكاً عادلاً ، يسير فى الناس سيرةً حسنة ، كريما رحيما ، شفوقاً على الرَّعية ، رقيقاً على الفقراءِ ، بارًا بأَهله ، كثير الصدقات ، يتصدّق فى كل رمضان بخمسة عشر أَلف دينار ، ولا يَعْرف فى زمانه جبايةً ولا مصادرةً ، بل كان يقنع من الرَّعَايا بالخراج فى قِسْطَيْن رفقاً بهم ، وكان شديد الحِرْص على حفظ مال الرَّعايا ؛ بلغه أَنَّ غلاماً من غلمانه أَخذ إزارًا لبعض التُّجَّار فصَلَبَهُ ، فارتعد به سائرُ المماليك خوفاً من سطوته ، وقال ابن خلّكان : قصد بلاد الشام ، فانتهى إلى مدينة حَلَب [2] ، وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى [3] ، فحاصره مدة ، ثم نزل إليه محمود ليلاً ومعه أُمه فتلقَّاهُمَا بالجميل ، وخلع عليهما وأَعادهما إلى البلد ، ورحل عنهما . قال المأمونى [4] فى تاريخه : قيل إنه لم يَعْبُر

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) كان ذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة للهجرة .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٨٦ .

(٣) توفى محمود هذا سنة ٤٦٩ ﻫ .
المرجع السابق ٢ : ١٩٢

(٤) لم يعثر المحقق على ترجمة له فى المراجع التى تيسرت له .

الفُرَات فى قديم الزمان ولا حديثه فى الإسلام ملك تُرْكِيٌّ قبل أَلْبْ أَرْسلان ، فإنه أَوَّل من عبره من ملوك التُّرك . ولَمَّا عاد عزم على قصْد بلاد التُّرْك ، وقد كَمُلَ عسكرُه مائتى أَلف فارس أَو يزيدون ، فمدَّ على جَيْحُون جسرًا ، وأَقام العسكر يعبر عليه شهرًا ، ومدَّ السماط فى بُلَيْدَة يقال لها فِرَبْرُ[1] ، وأَحضروا إِليه صاحب حِصْنِها مقيدًا [و] [2] كان قد ارتكب جريمة [و] [3] يقال له يوسف الخُوَارَزمى . فلما قرب منه أَمر أَن تضرب أَربعة أَوتاد لتشدّ أَطرافه الأَربعة إِليها ، ويعذبه ثم يقتله ، فقال له يوسف : يامُخَنَّث مثلى يُفْعَل به هذه الفعلة ؟! فغضب أَلْب أَرْسَلان ، وأَخذ قوسه ، وجعل فيه سهمًا ، وأَمر بحَلِّه من قيده ، ورماه فأَخطأَه ، وكان لا يخطئُ فى رَمْيَةٍ ، وكان جالساً على سريره ، فنزل عنه مغضباً ، فعثر ووقع على وجهه ، فبادر يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته ، فوثب عليه فراش أَرمنىّ فضربه بمرزبة فى رأسه فقتله ، وانتقل أَلْب أَرْسلان إلى جهة أُخرى مجروحًا ، ثم توفى يوم السبت عاشر ربيع الأَول سنة خمس وستين وأَربعمائة ، وكانت مدة مملكته تسع سنين وأَشهراً ، ونقل إلى مَرْو ، ودفن عند قبر أَبيه داود ، وعمه طُغْرُلْبَك . وهو الذى بَنَى

(1) الضبط عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ٤٥٦ .
وفيه أنها المعبر من بلاد ماوراء النهر إلى خراسان .
(٢ و ٣) مابين الحواصر إضافة على الأصل .

على الإمام أَبى حنيفة قُبَّةً ومشْهَدًا ، وبنى ببغداد مدرسةً أَنفق عليها أَموالاً كثيرة .

الرابع : السلطان مَلِك شاهِ جلال الدَّولة ابن السلطان أَلْب أَرْسِلان . كان ملكا عظيما امتدت مملكته من أَقصى بلاد التُّرك إلى أَقصى بلاد اليمن ، وزاسله الملوك من سائر البلاد والأَقطار ، حتى ملك الروم والخَزَر واللَّان ، وكانت دولته صارمة ، والطرقات فى أَيامه آمنة . ومع عظمته يقف للمرأَة والمسكين والضعيف ، وعمّر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأَسقط المُكُوس والضرائب ، وحفر الأَنهار الكبار الخراب ، وبنى منارة القرون من صُيُوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه فى جنوده ، فكان نحوًا من عشرة آلاف صيد ، فتصدَّق بعشرة آلاف دينار ، وقال : إِنى خائف من اللّه أَنى أَكون أَهرقت نفس حيوان لغير مأْكلة . وقد كانت له أَفعال حسنة ، وسيرة صالحة ؛ من ذلك أَن فلاحًا أَنهى إِليه أَن غِلْمَانًا أَخذوا له حِمْلَ بطيخٍ هُوَ رأْسُ ماله ، فقال : اليومَ أَردّ عليك حِمْلَك ، ثم قال لأَصحابه : أُريد أَن تأْتونى اليوم ببطيخ ، ففتشوا فوجدوا فى خيمة الحاجب بطيخاً فحملوه إِليه ، فاستدعى الحاجبَ ، فقال : مِنْ أَين لك هذا ؟ فقال جاءَ به الغلمان ، قال : أَحضرهم ، فذهب فهرّبَهم ، فأَرسل إِليه فأَحضَرهُ فسلّمه إِلى الفلاَّح ، وقال خذ بيده فإِنه مملوكى ومملوك أَبى فإِيّاك أَن

تفارقه ، ورد حمل البطيخ ، فخرج الفلاّح بحمله ، وفى يده الحاجب ، فاسْتَفَكَّ نفسَه منه بثلاثمائة دينار . وأسقط مرةً بعضَ المُكُوس ، فقال رجل من المُسْتَوفين[1] : ياسلطان العالم إنَّ هذا يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر ، فقال : وَيْحَك إن المالَ مالُ الله ، والعباد عبيدُه ، والبلادَ بلادُه ، وإنَّمَا يبقى هذا إلى ، ومن نازعنى فى هذا ضربت عنقه . وكانت وفاته ليلة الجمعة النِّصْفَ من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدة مملكته من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرًا .

الخامس : بَرْكيَارُوق أبو المظفر ابن السلطان مَلِك شاه ، وكان ملكاً عالى الهمَّة ، مسعودًا فى حركاته ، وكان مع ذلك مُلاَزِمًا للشَّراب والإدمان عليه ، توفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وأقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة وأشهرًا .

السادس : تاج الدَّوْلة أبو سعيد تُتُش بن ألْب أرْسلان ابن داود بن سلجوق بن دُقَاق ، صاحب البلاد الشرقية والحلبية ، وكان قد جرى بينه وبين ابن أخيه بَرْكيَارُوق مشاجرات أدت إلى المحاربة ، فتوجه إليه وتصافًّا بالقرب من مدينة

(١) هم كتاب الأموال بالدواوين الذين يضبطون مايتبعها ، وينبهون إلى مافيه مصلحتها من استخراج الأموال ونحوه ، وهناك مستوفى الصحبة الذى يساعد الوزير ، ومستوفى الدولة ، وهو كسابقه ، ومستوفى الخاص ويكون فى ديوان الخاص ، ومستوفى المرتجعات ويكون فى ديوان المرتجعات .

انظر هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ١٩٢ .

الرّى يوم الأَحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين ، [٣٣] فانكسر تُتُش ، وقتل فى المعركة ذلك النهار .

السابع : فخر الملك رضوان بن تُتُش صاحب حلب ، توفى فى سلخ جمادى الأُولى سنة سبع وخمسمائة .

الثامن : دُقاق[١] شمس الملوك أَبو نصر بن تُتُش تاج الدولة صاحب الشام ، توفى فى رمضان سنة سبع وتسعين وأَربعمائة .

التاسع : السلطان سِنْجَر بن مَلِك شاه ، سلطان خُرَاسَان وغَزْنَة ، وما وراء النهر ، وخطب له بالعراقين ، وأَذْرِبيجَان ، وأَرّان ، وأَرمنيّة ، والشام ، والمَوْصِل ، وديار بكر وربيعة ، والحرمين ، ويلقّب بالسلطان الأَعظم معزّ الدين ، كان من أَعظم الملوك همّة وأَكثرهم عطاءً . وذُكِرَ عنه أَنه اصطبح خمسة أَيام متوالية ، ذهب فى الجود بها كل مذهب ، فبلغ ما وهبه من العَيْن سبعمائة أَلف دينار ، غير ما أَنعم به من الخَيْل والخِلَع والأَثاث وغير ذلك .

واجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزائن أَحد من

---

(١) يقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٩« وفيها توفى دقماق بن تُتُش . . . وسماه الذهبى وصاحب مرآة الزمان دقاقاً (بلا ميم) ولعل الذى قلناه هو الصواب فإننا لم نسمع باسم قبل ذلك يقال له دقاق ، وأيضاً فإن جد السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق ، وهذا أكبر الأدلة على أن اسمه دقماق » . انتهى .

والبدر العينى يساير هنا الذهبى وصاحب مرآة الزمان فقد ذكر فى ترجمة تاج الدولة أبى سعيد أن جده دقاق صاحب البلاد الشرقية والحلبية .

الملوك الأكاسرة . وقال له خازنه يومًا ، حصل فى خزانتك ألف ثوب ديباج أطلس ، وأحب أن تبصرها ، فسكت وظننت أنه رضى بذلك ، فأبرزت جميعها ، وقلت أما تنظر إلى مالك فتحمد الله تعالى على ما أعطاك ؟ فحمد الله ثم قال : يقبح لمثلى أن يقال : مالَ إلى المَال ، وأمر للأُمراءِ أن يدخلوا عليه فدخلوا ، ففرّق عليهم تلك الثياب .

واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلاً ، ولم يسمع عند أحد من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ، ولم يزل أمرُه فى ازدياد وسعادة وافرة إلى أن ظهرت عليه الأَغُزّ[1] فى ثمان وأربعين وخمسمائة ، فوقعت بينهم وقعة عظيمة ، ثم كسروه وفرّقوا شمْله ، وقتلوا منهم خلقًا لايحصون ، وأسروا السلطان سنجر ، وأقام فى أسرهم مقدار خمس سنين ، ثم أَفْلَت من الأَسر وعاد إلى خُرَاسان . وتوفى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الأَول من سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمَرْو ودُفِن فيها .. وانقطع بموته استبدادُ الملوك السّلجوقيّة بخُرَاسان على أكثر مملكة خُوَارَزْم شاه بن محمد بن أَنُوشْتِكِين ، وقطعت الخطبة ببغداد للسّلجوقية عند وصول خبر موته فى أيام المقتفى لأمر الله .

قال ابن الجَوْزِى . وكانت البلاد آمنة فى زمانه ، فجلس

---

(١) وهم الترك الغز كما فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢ : ٣٢٢ وهامشها ، والتركمان الغز كما فى دول الإسلام للذهبى ٢ : ٥٠ .

على سرير الملك إحدى وأربعين سنة ، وقبله فى النيابة عن أخيه نحوًا من عشرين سنة ، ولم يكن أحد من الخلفاء والسلاطين أقام هذه المدة ؛ فإنها تناهز ستين سنة .

فكما أن السلطان سنجر هو التاسع من سلاطين بنى سلجوق ، والمسعود منهم بالمال الكثير ، والدولة الطويلة ، وكذلك مولانا السلطان المؤيّد تاسع سلاطين التُّرك ، فنرجو من الله تعالى أن تكون أيامه طويلة محفوفة بالسعادات ، وبكثرة الخيرات . إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ..

وأما دولة الجِنْكِزيَّة .

فأول ملوكهم جِنْكِزْخان اللعين ، وكان ظهوره وعبوره نهر جيحون فى سنة ست عشرة وستمائة ، وهم طائفة كانوا يسكنون جبال طُغَاج من أرض الصين ، ولغتهم مخالفة للغة سائر التَّتر ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وكان فى ابتداءِ أمره خصيصا عند الملك أونك[1] خان ، وكان إذ ذاك شابا حسنا ، وكان اسمه أولاً تمرجى[2] .

(١) يقول ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ٢٢٦ « وفيها – أى فى سنة ٥٩٤ هـ – كان ابتداء دولة المغول وذلك أنه فى هذا الزّمان كان المستولى على قبائل الترك المشارقة أونك خان وهو المسمى ملك يوحنا من القبيلة التى يقال لها « كريت » وهى طائفة تدين بدين النصرانية .

(٢) فى تلقيق الأخبار للرمزى ١ : ٣٤٥ و٣٤٦ « تموجين » سماه أبوه به باسم خان التتار الذى كان هلك فى العام المذكور ، ولما تغلب على أعدائه لقب نفسه بجنكزخان – قيل لقبه به واحد من رعاياه كان يدعى الكهانة وعلم الغيب وقال له : إنى أمرت أن ألقبك بجنكزخان ومعناه شاهنشاه وملك الملوك ، وكان ذلك سنة ٥٩٩ هـ . وعمره ٤٩ سنة – وسماه ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ٢٢٦ « تموجين » وأورد قصة طويلة لتغلبه على « أونك » .

ثم لما عظم سمّى نفسه جِنكِزْخَان ، وقد كانت أُمه تزعم أنها حملت به من شعاع الشمس . فلهذا لا يُعْرَف له أَبٌ ، والظاهر أَنه مجهول النسب(١) ، وكان سبب اتِّصاله بالمُلْكِ أَن أَونك خان قد غضب بسبب وَشْي وشَاة عنده ، فأَخرجه من عنده ولم يقتله ، لأَنه لم يجد له طريقاً على قتله ، وكان الملك قد غضب على مملوكين من خواصّه فهربا منه ، ولجآ إلى جِنْكِزْخان فأَكرمها وأَحسن إليهما ، فأَخبراه من أَن نيّة الملك أَن يقتله ، فأَخذ جِنْكِزْخان حِذْرَه ، وجمع خلقاً كثيرا من طائفته ، ثم صار ناسٌ يَفِرُّون من أَونك خان ويذهبون إليه ، حتّى اجتمع عنده جمعٌ كثير ، فقويت شوكته ، وكَثُرَت جنوده ، ثم حارب مع أُونك خان ، فظفر به وقتله ، وغلب على مملكته ، وانضاف إليه عَدَدُهُ وعُدَدُه ، وعظم أَمره ، وبُعد صيته ، وخضعت له قبائل التُّرك ببلاد طُمْغاج(٢) كلها ، حتّى صار يركب فى ثمانمائة أَلف مقاتل ، وأَكبر القبائل قبيلة التى هو من أَصلهم يقال لها : قنات(٣) ، ثم شرع يحارب مع السلطان علاءِ الدين خُوَارَزْم شاه ، صاحب بلاد خُراسان

(١) انظر نسب جنكزخان فى كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى ١–٢ : ٢٠٤ الفصل الأول من الباب الثانى ، وأيضاً المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ١٢٣ ، وأيضاً تلفيق الأخبار للرمزى ١ : ٣٤٣ وما بعدها .

(٢) طمغاج هى طغاج وقد جاء فى ص ١٥٦ أنها جبال من أرض الصين .

(٣) رسم الكلمة غير واضح فى الأصل وما هنا عن دائرة المعارف للبستانى م ٦ ص٥٥٢ .

والعراق وأَذْربيجان ، فآخِرُ الأَمْر كَسَرَه وغلبه ، واستحوذ على سائر بلاده ، وعظم أَمرُه جدا . وقال الجويني[1] : كان يصطاد من السنة ثلاثة أَشهر ، والباقي للحرب والحُكْم ، وكان يضرب الحلقة يكون مابين طرفيها ثلاثة أَشهر ، ثم تتضايق فيجتمع فيها من أَنواع الحيوانات شيءٌ كثير لا يُحَدُّ كثرة . وتوفى اللعين في سنة أَربع وعشرين وستمائة ، ولما توفى جعلوه في تابوت من حديد ، وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك . وخلَّف أَولادًا[2] كثيرة . ولكن خمسة منهم عظماؤهم ، توشى ، وهرتوك ، وباطو ، وبركة ، وبركجان ، ملك كلٌّ منهم إقليماً .

ولكن كان أَكبرُ الكل دوشى خان ، وهو الثانى من الجنكزيِّة .

الثالث : صرطق ، أَقام في المملكة سنةً وشهورا ، ثم توفى في سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

الرابع منهم : هلاون[3] بن باطو بن جِنْكِزْخان ، فلما تولَّى بعد وفاة صردق[4] ، عظم شأْنه جدًّا ، وكثرت

(١) الجويني : علاء الدين عطا مالك بن محمد (٦٢٣ - ٦٨١هـ) مؤرخ وحاكم فارسى.

(٢) انظر أولاد جنكزخان في تلفيق الأخبار للرمزى ٣٥٨ ، وما بعدها ، وأيضاً في تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ٢٢٧ وما بعدها ، ويتضح أن الكتب قد اختلفت في رسم كثير من أسمائهم .

(٣) ورد بهامش اللوحة بحذاء هذه الكلمة عنوان بخط مغاير « قاتل المستعصم هلاون » وهلاون هو الذى اشتهر باسم هولاكو .

(٤) سبق ورود هذا الاسم برسم « صرطق » .

جنوده ، واستولى على البلاد ، وأخذ بغداد وأخربها ، وقتل الخليفة المستعصم وأهل بيته فى سنة ست وخمسين وستمائة .

ثم توفى اللعين فى تاسع عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وستمائة بالقرب من كورة مُرَاغه ، وخلف خمسة عشر(١) ولداً ذكراً وهم : جُما غَار وهو أكبرهم سنا ، وأباقا ، وهو أبغا ، ويَصمُت ، وتيشين ، وتكشى ، وتُكُدَار ، وأجاى ، وألاجو ، وسيُوجى ، ويَشْودان ، ومنكُتِمُر ، وقُنغُرُطاى ، وطُرغاى ، وطغاى ، وتَمُر .

واستولى موضِعه أبغه بن هلاون ، وهو الخامس من الجنكزيّة ، واستقرت له البلاد التى كانت بيد والده حال وفاته ، وهى إقليم خُرَاسان ، وكُرْسِيُّهُ نيْسَابُور ، وإقليم عراق العجم ، وكرسيُّه أَصْبَهان ، وإقليم عراق [٣٤] العرب ، وكرسيّه بغداد ، وإقليم أَذْربيجَان ، وكرسيُّه تِبرِيز ، وإقليم خُوزستان ، وكرسيّه شُشْتُر ، وإقليم فارس ، وكرسيّه شِيرَاز ، وإقليم ديار بكر ، وكرسيّه المَوْصِل ، وإقليم الروم ، وكرسيّه قُونِية ، وكانت له شوكة عظيمة وعسكر عظيم ، وتوفى فى سنة إحدى وثمانين وستمائة مسمومًا ، وكانت مدة مملكة نحو سبع عشرة سنة وكسور .

(١) كذا ذكر المؤلف فى حين أنه ورد فى (كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى) ١-٢ : ٢٢٣ أن عددهم أربعة عشر ولدا ، ويلاحظ أيضاً الخلاف الشديد فى الرسم للأسماء بين المراجع المختلفة .

السادس منهم المشهور بالصيت : مَنْكُـتَمُر صاحب بلاد دشت [1] وصَراى [2] وهو مَنْكُـتَمُر بن طُغَان بن بَاطُو بن جِنْكِزخان ، وهو أيضا توفى فى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

السابع منهم : تُدَان مَنْكُو بن طُغَان بن بَاطُو خان بن جِنْكِزْخان ، تولى مملكة الدشت بعد وفاة أخيه مَنْكُسْتَمُر .

الثامن منهم من المشهورين : أُزْبَك خان بن طغرلجا ابن مَنْكُوتَمُر بن طُغَان بن بَاطُو بن دُوشى خَان بن جِنْكِزْخان ، وتولَّى المملكة فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وتوفى فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكان ذا بأس وإقدام ، وديانة وعبادة ، يؤثر الفقراء ، ويحب العلماء ، ويسمع منهم ، ويرجع إليهم ، ويعطف عليهم ، ويتردد إلى المشايخ ويحسن إليهم .

التاسع منهم : جَانِى بَك خان بن أُزْبَك خَان المذكور ، كان ملكاً عظيماً ذا هِمّة عالية ، وبأس شديد ، بلغت عدَّة عسكره إلى سبعمائة ألف فارس ، وكان أكثر معاشرته مع

---

(١) دشت : هى القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى أسسها جنكزخان ، وهى بلاد قفجاق ، وكانت حدودها تنطبق على التركستان الروسية والقوقاز وقازان الحالية إلى نهر الفولجا غرباً إلى باسارابيا على حدود رومانيا .

انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٣٣٥ .

(٢) صراى وسراى : عاصمة بلاد التتار الشمالية غربى بحر الخزر وتقع على نهر الأتل « الفولجا » من الجانب الشرقى :

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١ : ١٩٥ .

العلماء والصالحين ، وكان يحسن إليهم غاية الإحسان ، ويتواضع إليهم غاية التواضع ، ويجلس معهم كآحاد الناس ، وكان إذا جاءَ إليه عالم أو صالح نهض إليه ونزل من تخته واستقبله استقبالا حسنا ، وعانقه وقبّل يَدَه ، وأخذ بيده ومشى معه إلى أن أجلسه معه على تخته ، ولم يزل يحادثه ويلاطفه ، ويطلب منه الدُّعاءَ إلى أن يُشَيّعه بأحسن حالة ، وذلك بعد إنعام جَلِيل وعطايا وافرة ، ويأمر لأَكَابِر جنده أن يمشوا فى خدمته منزلة ، ثم لم يزل يواصله بالتحيّة والسلام والهدايا الغَرِيبَة ، والتُّحَف السنيّة ، وربما ينزل عنده بعسكره العظيم بعد سيره من موكبه .

ولقد أخبرنى أحد مشايخى الشيخ الإمام العلامة نظام الدين الأسبيجابى قال : كنت فى مدينة صراى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وبلغ الملك المذكور قدوم الشيخ قطب الدين التحتانى (١) ، فركب بنفسه لملاقاته وصُحبتهُ جميع عساكره ، واستقبله من مقدار بَرِيد وأكثر . فلما قرب منه الشيخ ترجّل الملك ، فلما رآه الشيخ وأراد أن ينزل أرسل إليه أميرًا من الأُمراءِ الكبار وأقسم عليه ألا ينزل ، فامتثل الشيخ كلامَه ، ولكنه حصل له خَجَلٌ وحياءٌ عظيم ، ثم دنا منه الملك ومشى فى خدمته وهو ماسك بلجام فرس

(١) هو محمود بن محمد الرازى المعروف بالقطب التحتانى مات فى ذى القعدة سنة ٧٦٦ هـ . ابن حجر — الدرر الكامنة ٤ : ٣٣٩ .

الشيخ ، وجميع العسكر مشاة بين يديه ، ويقول : الحمد لله الذى بعث إلى إقليمى عالِمًا مثلكَ ، وأنا أفتخر بما أنا فيه من خدمتك ، ولم يزل يحلف على الملك حتى ركب ، ولم يزل سائرا [1] معه إلى أن بلغ المدينة ، ثم أنزله فى مكان يليق به . ثم لم تزل الضِّيافات والهدايا والتحف متتابعة إليه من الملك والأمراءِ وأكابر المدينة وأعيانها ، حتى خواتين الملك والأمراءِ ، حتى [صار][2] الشيخ ومن معه فى نعمة عظيمة ، ثم لم يزل الملك كل حين يعمل وقتا عظيما ، يجمع فيه علماءَ المدينة وصلحاءها ، وطلبة العلم منهم ، فيقع بينهم مباحثات عظيمة ، يسمع الملك ويفرح بهم . ثم يأمر بالإنعام عليهم ، كل واحد بحسب حاله .

قال الشيخ رحمه الله : ولقد حضرت يوما فى مجلسهم ، وكان غاصًا بالعلماءِ ــ فسألوا الشيخ فى ذلك اليوم [3] عن المواضع المشكلة فى الكَشَّاف [4] والمفتاح [5] ونحوهما ــ

(١) فى الأصل « ولن يزال يساير » .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) عبارة الأصل « فسألوا عن الشيخ فى ذلك اليوم من المواضع المشكلة » وما هنا يستقيم به المعنى .

(٤) الكشاف : كتاب فى تفسير القرآن الكريم صنفه محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . طـ أولى .

الزركلى ــ الأعلام ٣ : ١٠١٧ .

(٥) المفتاح : هو مفتاح العلوم فى البلاغة ، صنفه السكاكى أبو يعقوب بن أبى بكر بن محمد ابن على الخوارزمى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

سركيس ــ معجم المطبوعات ١٠٧٣ .

فأجاب عن الكل بأحسن الجواب ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، حتى إن الملك لما رأى ذلك ازدادت محبته ، وقوى إعظامه . فهذا هو الملك السعيد ، فكما أنه هو الملك التاسع من ملوك ذُريّة جِنْكِزْخان ، فكذلك مولانا السلطان المؤيّد تاسع ملوك التُّرك ، فإن شاءَ الله تعالى يُعْطَى له ما أُعْطِى هذا الملك من الخير الكثير والعسكر العظيم والسعادة الوافرة .

وأما دولة الأغالبة بإفريقية وما والاها .

فأول ملوكهم : إبراهيم بن الأغلب (١)

الثانى : ولده أبو العباس عبد الله (٢) بن إبراهيم .

الثالث : أخوه زيادة الله بن إبراهيم ، توفي فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ،وكان يقول : ما أُبالى – إن شاءَ الله – بأهوال يوم القيامة ، فقد قدّمت أربعة أشياءَ : بنائى الجامع بالقَيْرَوَان ، وقد أنفقت عليه ستة وثمانين ألف دينار . وبنائى القنطرة بباب الربيع . وبنائى حصن الرّباط بسوسَة (٣) . وتوليتى أحمد ابن أبى محرز (٤) القضاءَ .

(١) هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمى ، عهد إليه هارون الرشيد بولاية إفريقية فى جمادى الآخرة سنة ١٨٤ هـ ، وقد سبقه على ولاية إفريقية والده الأغلب بن سالم التميمى بعهد من المنصور وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٤٨ هـ .
ابن عذارى المراكشى – البيان المغرب فى أخبار المغرب ١ : ٨٦و١١٦ و ١٢٠ ط.بيروت .

(٢) وتولى إفريقية سنة ١٩٦ هـ بعد وفاة والده . وتوفى فى ذى الحجة سنة ٢٠١ هـ . المرجع السابق ١ : ١٢١ .

(٣) سوسة : مدينة صغيرة بينها وبين سفاقس يومان ، وتنسج فيها الثياب السوسية الرفيعة . ياقوت – معجم البلدان ٣ : ١٩٠ و ١٩١ .

(٤) أحمد بن أبى محرز : هو أحد العلماء العاملين الزاهدين توفى سنة ٢٢١ هـ =

الرابع : أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، توفى سنة ست وعشرين ومائتين .

الخامس : أخوه أبو العباس (١) محمد بن إبراهيم بن الأغلب.

السادس : أخوه أحمد .

السابع : أخوه عبد الله أبو (٢) إبراهيم .

الثامن : أبو عبد الله محمد بن أحمد (٣) .

التاسع : زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن الأغلب أبو مضر (٤) ، وكان ملكاً عظيماً ، وكان له مماليك كثيرة ، حتى كان له ألف مملـــوك من الصَّيَاقلة (٥) ، فى أوساطهم مناطق الذهب . وكان قد بعث مرة إلى الخليفة المقتفى بهدايا عظيمة : من خدم وخيل وثياب

= المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٣

وانظر هذا الخبر فى البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى : ١٣٧ — ١٣٨

(١) وقد توفى أبو العباس هذا فى المحرم سنة ٢٤٢ هـ وولى بعده أخيه ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد. أما أحمد فإنه لم يتول وإنما استولى على تدبير الأمور دون إمارة ، وحجب أخاه أبا العباس محمداً. ثم ظفر به أبو العباس سنة ٢٣٢ هـ وحبسه ثم نفاه إلى الشرق فمات بالعراق .

البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى ١ : ١٤١ و ١٤٢ .

(٢) فى الأصل عبد الله بن إبراهيم . وما هنا من المرجع السابق ١ : ١٤٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٢٩ — هذا وقد توفى فى ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ .

(٣) وهو الملقب بأبى الغرانيق ، ولى سنة ٢٥٠ هـ ، وتوفى سنة ٢٦١ هـ . وبعده ولى أخوه إبراهيم بن أحمد بن أحمد .

المرجع السابق ١ : ١٥٠ — ١٥٣ .

(٤) فى الأصل « أبو منصور » وما هنا من المرجع السابق ١ : ٢١٠ ، تاريخ ابن خلدون ١ : ٤٣٩ .

(٥) الصياقلة : المراد بهم أهل جزيرة صقلية .

ودنانير ودراهم ، فى كل دينار عشرة دنانير ، وفى كل درهم عشرة دراهم ، وكتب على الدينار والدرهم من الجانب الواحد :

يا سائِرًا نحـوَ الخليفةِ قُـلْ لَهُ
أَن قَد كَفَاكَ اللهُ أَمـرَكَ كلَّـه
بزيادةِ الله بن عبـدِ الله سيفِ اللهِ
مِنْ دون الخليفَـةِ سَلَّـه

وعلى الجانب الآخر :

لا يَنْبَرِى لَكَ بالشِّقَـاق منافـقٌ
إلاَّ أَبَاحَ حَريمَـه وأذلَّـهُ
مَنْ لاَ يَرَى لَكَ طَاعَـةً فاللهُ قـد
أَعْمَاهُ عن سُبْل الهُدَى وأَضلَّـهُ

وذُكِرَ فى كنز الدُّرَر(١) : أَن مُلْكَهُم كان مائة سنةٍ واثْنَتى عشرة سنة وخمسة أَشهر وأَربعة عشر يومًا ، وكانوا اثني عشر ملكاً .

والتاسع منهم هو زِيَادة الله ، وكان مَلِكًا عظيمًا كما قد ذكرناه . فكذلك مولانا السُّلْطَان المؤيدُ تاسع ملوك التُّرك ، فإن شاءَ الله تعالى ، يعطى ما أُعْطِي زيادةُ الله من زيَادةِ [٣٥] الإنعام والقوة والخير .

---

(١) ألف هذا الكتاب أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى .

أما دولة بنى أيّوب .

فأوّلُهم : هو أصلهم وكبيرهم الملكُ نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادى بن مَرْوَان بن يعقوب ، وكان من أكابر الملوك عند السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد محمود [ابن زنكى] (١) وكان رجلاً مُبَاركاً كثيرَ الصّلاحِ ، مائلاً إلى الخير ، حسن النِّيّة ، جميل الطَّويّة ، وكان مولدُه ببلدة سجستان (٢) ، وتوفى فى القاهرة أيام وَلَدِه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف . يوم الاثنين ثامن عشر ذى الحجّة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ونقل إلى المدينة النبويّة ودفن هناك .

الثانى : السلطانُ الأكبر الملكُ المعظم تُورَان شاه بن أيّوب ، الذى افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه السلطان الناصر صلاح الدين يوسف ، وكان صاحب البلاد اليمنيّة ، وجمع فيها أموالاً عظيمة ، وقَدِمَ إلى أخيه صلاح الدين ، وحضر معه غزوات كثيرة ومواقف حسنة ، ثم أرسله أخوه إلى الإسكندريّة ، وتوفى بها سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ثم نقلته أخته ستُّ الشام بنت أيوب إلى دمشق فدفنته بتربتها التى بالشامية البرّانيّة (٣) .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٨٨ .

(٢) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٢ أنه ولد فى «أجدانقان» وهى قرية على باب «دوين» من عمل أذربيجان .

(٣) تقع المدرسة الشامية البرّانيّة فى حى العقيبة بدمشق وتعرف كذلك بالحسامية لأن الأمير حسام الدين بن ست الشام المذكورة دفن بها .
مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس ص ١٢ .

الثالث : السلطان الأعظم أبو المظفرّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أَيُّوب ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفُرَاتِيَّة ، وكان مثلَ أَبيه من الأُمراءِ الكبار عند السلطان نور الدين الشهيد ، ثم مَلَّكَهُ الله تعالى الدِّيَار المصرية وغيرها ؛ وذلك أن الفرنج لما أَقبلت فى جحافل كثيرة إلى الدّيار المصرية ليأْخذوها مع مساعدة المصريين على ذلك - وذلك فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة - بلغ ذلك أَسدَ الدين شِيرِكُوه عمَّ السلطان صاحبَ البلاد الحِمْصِيَّة ، فاستأْذن السلطان العادل نور الدين أَن يذهب إلى مصر ليستنقذ المسلمين من الكَفَرَة المتمرِّدين ، وكان كثيرَ الحنق على الوزير شَاوَر وزير مصر لِمَا كان يبلغُهُ من مساعدتِهِ الفرنج - لعنهم الله - فأَذن له فسار إليها فى ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ومعه ابنُ أَخيه صلاحُ الدين يوسفُ بعسكرٍ عِدّتهم أَلفا فارس ، وقد وقع فى النفوس أَن صَلاَح الدين سيملِك الدِّيَار المصرية ، وفى ذلك يقول الشاعر حسَّان :

رَبٌّ كَمَا مَلَّكْتَهَا يوسفَ الصدّيقَ من أَولادِ يَعْقُوب
فَمَلِّكْهَا فِى عَصْرِنَا يُوسُفَ الصادِقَ من أَولادِ أَيُّوبَ

فلما بلغ الوزير شاوَر قدوم أَسد الدين بمن معه من الجيش بعث إلى الفرنج فجاءُوا من كل فَجٍّ عميق . وبلغ أَسدَ الدين ذلك ، واستشار من معه من الأُمراءِ ، فكلهم أَشارَ عليه بالرجوع إلى الملك نور الدين لكثرة الفِرِنج ، إلاَّ أَميرًا واحدًا يقال له

شرف الدين بَرْغَش ، فإنه قال : من خاف الأَسر والقتل فليقعد في بيته عند زوجته ، ومن أَكل أَموال المسلمين فلا يُسَلِّم بلادهم إلى العدو ، وقال مثلَ ذلك صلاحُ الدين يوسفُ ، فعند ذلك تأَكَّد عزمهم ، فساروا فوصلوا إلى الدِّيار المصريّة ، واستولوا على الجيزة ، واستغلها أَسدُ الدين شيركوه واستغل بلادها ، ثم توجّه إلى الصَّعيد ، وسار شَاوَرُ مع الفرنج في طَلَبِهِم ، والتقوا عَلى بلد يقال له أَبوان [1] فانهزم الفرنج والمصريون ، وقتِل منهم خلقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلّ ، واستولى شِيرِكُوه على تلك البلاد ، ثم سار إلى الإسكندرية ، وملكها وجبى أَموالها ، واستناب عليها ابنَ أَخيه صلاحَ الدين يوسف ، وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجمع منه أَموالاً جزيلة جدًّا ، ثم اجتمع عسْكَرُ مصرَ والفرنج ، وحاصروا صلاح الدين بالإسكندرية ثلاثة أَشهر ، وذلك في غيبة عمِّه بالصعيد ، وامتنع بها صلاحُ الدين ومن معه أَشدَّ الامتناع ، وضاقت عليهم الأَقوات [2] ، فسار إليهم شيركوه فصالحه الوزيرُ شاوَرُ على الإسكندرية بخمسين أَلف دينار ، [يدفعها لشيركوه] [3] ، فأَجابه إلى

---

(١) أبوان : كذا في الأصل ، وفي المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٣ : ٤٣ . أما في السلوك للمقريزي ١ : ٤٣ فاسمها « البابين » . وتقع على عشرة أميال جنوبي المنيا ، وقد اشتبك عندها — في ١٨ من أبريل سنة ١١٦٧ م — شيركوه مع شاور وحليفه عموري ملك الدولة الصليبية بيت المقدس وانتصر شيركوه بفضل قائد قلب جيشه صلاح الدين الأيوبي .

هامش د. زيادة على السلوك .

(٢) في الأصل « الأوقات » ، ما أثبته ترجح صحته .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ٣ : ٤٤ .

ذلك ، وخرج صلاح الدين منها ، وسلمها إلى المصريّين فى منتصف شوال من هذه السنة ، وسار شِيركوه بمن معه إلى الشام .

واستقر [1] الصلح بين الإفرنج والمصريين على أن يكون للفرنج بالقاهرة شِحْنة [2] ، وتكون أبوابُها بيد فرسانهم ، ويكون لهم من دَخْلِ مصر فى كل سنة مائة أَلف دينار .

ولما كان كذلك طَغَت الفرنجُ بالدِّيَار المصرية . وسار إليها إمداد الفرنج ، وسار أَيضا مُرّى ملك عسقلان [3] فى جحافل كثيرة ، فأَوّل ما أَخذوا مدينة بُلْبِيس ، فقتلوا منها خَلْقًا وأَسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا فيها أَثقالهم ، وساروا منها ونزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية [4] عاشرَ صفر من سنة أَربع وستين وخمسمائة ، فأَمر الوزير شاوَرُ للنَّاسِ أَن يحرقوا مصر ، وأَن ينتقل الناسُ إلى القاهرة ، فَنُهِبَ البلدُ ، وبقيت النار تعمل فى مصر أَربعة وخمسين يومًا ، فأَرسل العاضد الخليفة الفاطمى إلى الملك العادل نور الدين يستغيث به ،

(١) فى الأصل « وأسفر » وما هنا من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ٤٤ .

(٢) الشحنة : جماعة من العسكر الشرطة وقائدها يسمى الشحنة أيضاً أو رئيس الشحنة .

(٣) هو عمورى «Amaury» . ملك الصليبيين ببيت المقدس .

هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ٤٣ .

(٤) باب البرقية : يوجد بابان بهذا الاسم . أحدهما أنشأه جوهر القائد فى سور القاهرة الشرقى والثانى اكتشف أخيراً تحت التل الواقع على يمين الداخل عن طريق « قطع المرأة » الموصلة من شارع الغريب إلى جبانة المجاورين والعفيفى — وقد أشار إليه القلقشندى فى صبح الأعشى ٣ : ٣٥٤ — والبرقية جماعة من أهل برقة جاءوا مع المعز لدين الله الفاطمى .

انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٤٧ ، ٩ : ٢٠٥ وهامشهما ، وكذلك الخطط للمقريزى : ٢ ٣٢٦ .

وأرسل فى الكتب شُعُورَ نسائه [و](1) يقول « أَدْرِكْنِى وَٱسْتَنْقِذْ نِسَائى من أَيدى الفِرنج » وَٱلتَزَمَ له بثلثِ خراجِ مِصر ، على أَن يكون أَسدُ الدين مُقِيمًا عنده . فشرع نور الدين فى تجهيز الجيوش إِلى الدِّيَار المصرية ، فعيّن أَسدَ الدين [و](2) طَلَبَه من حمص إِلى حلب ، فسار إِليه من حمص إِلى حلب فى يوم واحد فرحّب به ، وأَنعم عليه بمائتى أَلف دينار ، وأَضاف إِليه من الأُمراءِ جماعةً ، كل منهم يبتغى رضاءَ الرحمٰن . وكان فيهم ابن أَخيه صلاحُ الدين يوسفُ بن أَيّوب ، وأَضاف إِليه ستة آلاف من التركمان ، فساروا ، ولَمّا وصلوا إِلى الدِّيَار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عنها خائفين . وكأَنَّ هذا الفتح فتح جديد بمصر ، فدخل شِيرِكوه على العاضد فى ذلك اليومْ ، وخلع عليه خلعةً سنية ، وحُملت إِليه التحف والكرامات ، وخرج إِليه وجوهُ الناس ، وكان فيمن خرج الخليفة العاضد مُتَنَكِّرًا فأَسرّ إِليه أُمورًا مُهِمَّةً ؛ منها : قتل الوزير شاوَرَ .

ثم إِن شاوَر عزم على أَن يعمل وليمة لِشيركوه وأُمرائِه ويقبض عليهم ، وكان من عادة شِيركوه أَن يصلى الصبح عند الإِمام الشافعى [٣٦] رضى الله عنه ، فاتفق أَنّ شاوَر أَتى إِلى مخيّم شِيرِكُوه يطلبه للدعوة فلم يجده ، فقال له صلاح الدين : هو ذهب إِلى الشّافِعِىّ ، فراح إِليه ، فعندما راح أَتى لصلاح الدين

(١ ، ٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

رجلٌ من الناصحين فأخبره بما اتفق عليه شاوَر من الغَدْر بِشِيرِكُوه ، فعند ذلك نهض صلاح الدين وركب مسرعًا ومعه عز الدين جُرْدِيك (١) فلحقا شاوَر وألقوه عن فرسه ومسكوه ، فهرب أصحابه عنه ، وبلغ الخبرُ العاضد ، فأرسل إلى شيركوه يطلب منه إنفاذ رأس شاوَر ، فقتله وأرسل إليه رأسَه ، ثم دخل عليه في القصر فخلع العاضدُ عليه خلعةً سنية ، وولّاه الوزارة ، ولقَّبه بالملك المنصور أمير الجيوش ، وسار بالخلعة إلى دار الوزارة – وهى دار شاوَر – ونهب ما فيها . ثم شرع فى بعث العمال إلى الأعمال ، وأقطع الإقطاعات ، وولّى الولايات ، وفرح بنفسه أيامًا معدودات حتى أدركه الممات . وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، ثم وُلِّيَ صلاحُ الدين الوزارة بعد عمّه ، فَخَلَع عليه العاضدُ ، ولقَّبه الملكَ الناصرَ ، وذكر أبو شامة (٢) صفة الخِلْعَة التى لبسها وهى : عمامة بيضاءُ تنشى بطرف ذهب ، وثوب دَبِيقىّ (٣) بطراز ذهب ، وجُبّة بطراز ذهب ، وطَيْلَسان

---

(١) هو جرديك النورى نسبة إلى نور الدين الشهيد .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٨٨ .

(٢) أبو شامة : شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى . مؤرخ له كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين الصلاحية والنورية » و« ذيل الروضتين » وغيرهما من كتب التاريخ . توفى سنة ٦٦٥ هـ .
فوات الوفيات ١ : ٢٥٢ وبغية الوعاة ٢٩٧ .

(٣) الدبيقى : نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التى تصنع فى دبيق ، بلدة مصرية قديمة . وقد زالت . وموضعها اليوم تل دبيق فى الشمال الشرقى لقرية صان الحجر بمركز فاقوس محافظة الشرقية .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٨١ .

مُطَرّز بذهب ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف مُحَلى بخمسة آلاف دينار ، وحجرة [1] بثمانية آلاف دينار ، عليها سَرْج ذهب ، وسرفسار [2] ذهب مجوهر ، وفى رأسها مائتا حبة جوهر ، وفى قوائمها أَربعة عقود جوهر ، وفى رأسها قَصَبَة بذهب ، ومع الخلعة عدة بقج [3] وَخَيْلُ وأَشياءُ أُخَر . ومنشور الوزارة مكتوب فى ثوب أَطلس أَبيض ، وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من سنة أَربع وستين وخمسمائة ، وسار الجيش بكماله فى خدمته ، وأَقام صِفَةَ نَائِبٍ للملك نور الدين الشهيد ، يخطب له على المنابر بالديّار المصرية ، ويكاتبه نور الدين (بالأَمير اسْفَهْسَلار ، وكتب إليه) [4] نور الدين يُعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأَمَرَه أَن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك ، وجعل نور الدين يقول : مَلَكَ ابنُ أَيّوب . ثم أَرسل صلاح الدين إلى نور الدين يطلب أَبَاه أَيّوب وإخوته وأَقاربَه ، فأَرسلهم إليه مُكَرَّمِين . ولَمَّا وصلوا إلى الدِّيار المصرية

(١) الحجرة : الفرس الأنثى .
(محيط المحيط).

(٢) سرفار : الجزء الذى يقبض عليه الراكب من اللجام . دوزى — تكملة المعجمات العربية

(٣) بقج : جمع بقجة لكلمة فارسية معناها الصرة ونحوها مما توضع فيه الثياب أو ما يشبهها .
(محيط المحيط) .

(٤) ما بين القوسين وارد بالهامش بخط مغاير ؛ والاسفهسلار وظيفة من وظائف أرباب السيوف وعامة الجند . وصاحبها زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد . وهى أعجمية تعريبها قائد الجيوش .
انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٨١ .

خرج العاضِدُ لملاقاتهم بنفسه ، وصُحْبَتُه صلاح الدين ، « وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ »[1] . ولما اجتمعوا . قرأ بعض القرآن من قوله [تعالى][2] « وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ » إلى قوله [تعالى][3] « تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ »[4] .

ثم بعد ذلك أخذت دولة المِصْرِيِّين فى الضَّعْف والدَّوْلَةُ الأيوبيّة فى القوة ، وكان فى قصر العاضد خصيّ يسمى مؤتمن الخلافة ، وكان حاكِمًا على القصر ، فلما تمكَّن صلاح الدين ثقلت عليه وظيفته ، وكاتب الفرنج ، فعلم به صلاح الدين ودَسّ عليه من قتله ، فلما علم به السودان عبيد القصر ثاروا — وكانوا يزيدون على خمسين ألفا — فنهض إليهم صلاح الدين ، فقامت الحرب بينهم يومين ، وصار السودان كلما ٱلْتَجَئُوا إلى محلة أحرقها صلاح الدين عليهم ، وكانت لهم محلة عظيمة على باب زُوَيْلة تعرف بالمنصورة ، فأرسل صلاح الدين إليها من أطلق الحريق فيها على أموالهم وأولادهم فاحترقوا جميعًا ، فلما أتاهم الخبر بذلك ٱنهزموا ، وركبتهم السيوف وأبادتهم الجميع . ثم ولى صلاحُ الدين على القصر بهاءَ الدين قراقوش

(١) آية رقم ٩٩ من سورة يوسف .

(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة على الأصل .

(٤) أى من «ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » .

الآيتان ١٠٠ و ١٠١ من سورة يوسف .

الأَسدى وكان خصيًا أَبيض ، ثم عزل صلاح الدين قضاةَ مصر لأَنَّهم كانوا شيعة ، وقطع الأَذان بحى على خيز العمل ، ثم شرع في تمهيد الخطبة لِبَنِى العباس ، وكانت انقطعت منذ مائتى سنة وثمانى سنين .

وانقطعت دولة الفاطميين بموت آخرهم فى سنة سبعٍ وستين وخمسمائة ، ثم استحوذ صلاحُ الدين على القَصْرِ بما فيه ، واستعرض حواصل القصرين ، فَوَجَدَ فيهما أَشياءَ لا توصف ، فمنها : سبعمائة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زُمُرُّد طولُهُ أَكثر من شبر ، وسمكُهُ نحو الإِبهام ، وحبلٌ [1] من الياقوت ، وإِبريق عظيم من الحجر المانع ، وطَبْل للقُولَنج إِذا ضرَبَ عليه أَحد خرج من دبره ريحٌ وزال ما به من القُولَنْج ، فاتفق أَن بعض أُمراءِ الأَكراد أَخذه فى يده ولم يدر ما شأنه ، فَلَمَّا ضَرَبَ عليه حَبَق [2] فأَلقاه من يده فانْكَسَر ، فبطل عمله .

ومن جملة ما وجد فيهما خزانة كتب تشتمل على أَلفى أَلف مجلد ، ومن عجائب ذلك أَنه كان بها أَلفٌ ومائتان وعشرون من تاريخ الطَبَرِى . قال ابن الأَثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة أَلف مجلد ، وَوَجَدَ أَيضا فيها ذهبًا كثيرًا ، وأَرسل من ذلك تُحَفًا كثيرة إِلى الملك نور الدين الشهيد.

---

(١) فى الكامل لابن الأثير ١١ : ١٦٥ « فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهماً وسبعة عشر مثقالا — أنا لا أشك فإننى رأيته ووزنته » .

(٢) فى المرجع السابق ١١ : ١٦٥ « فضرب به فضرط » وهو معنى حبق .

ثم قوى أمرُه جدا لا سيّما بموت العادل نور الدين الشهيد فى سنة تسع وستين وخمسمائة .

قال النُوَيْرِى: وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أمر السلطانُ صلاحُ الدين ببناءِ السُّورِ الدَّائِر على مصر والقاهرة والقلعة على جبل المقطم ، ودوْرُهُ تسعة وعشرون ألف ذراع بالهاشمى ، وتولى بناءَ السور الأَمير بهاءُ الدين قراقوش الأَسدى ، ولم يزل العمل فى السور إلى أن مات السلطان صلاح الدين يوسف فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان سلطانًا عظيمًا خيِّرًا ديِّنًا صالحًا ، صاحب فتوحات وغزوات ، وجميعُ ما فتحه من القلاع والحصون سبعةٌ وستون . منها عكَّة وطَبَرِيّة ونابُلُس وبيت المقدس والدَّارُوم (١) وغزَّة وعَسْقَلان والرَّمْلة وصَفَد وكَرَك وشَوْبَك وسِرْمِين وجَبَلة واللاَّذِقيَّة وصَهْيُون ودَرْبَسَاك وبُغْرَاس وشَغر وبكَاس وغير ذلك .

وخلَّف من الأَولاد سبعة عشر ولدًا ذكرًا وبنتًا واحدة تسمى مُؤنِسَة خاتون ، تَسَلطَن من أولاده ثلاثة .

الملك العزيزُ عمادُ الدين عثمان فى الدِّيار المصرية .

والملك الأَفضل نورُ الدين على فى البلاد الشامِيَّة .

والملك الظاهر غِيَاثُ الدين غازى فى المملكة الحَلَبِيَّة ، وهو سادس بَنِى أَيُّوب .

---

(١) فى الأصل « الدارون » ، والداروم قلعة قرب غزة من جهة مصر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ هـ .

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٤٧ .

وأما السابع :فهو الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ملك مصر تسع عشرة سنة ، كان حازمًا متيقظًا ، غزيرَ العقل ، سديد الآراء ، ذا مكر وخديعة ، صبورًا حليمًا ، ديِّنًا عاقلاً وقورًا ، أبطل المُحَرَّمَات والخمورَ والمعازف من ممالكه كلها ، وقد كانت ممالكه ممهدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة وإلى هَمَذَان ، أخذها كلها بعد أخيه السلطان صلاح الدين سِوَى حلب ،فإنه أقرَّها بيد ابن أخيه الظاهر غازى بن صلاح الدين ؛ لأنه كان زوج ابنته الست صَفيَّة(١) [٣٧] خاتون ، وكان ماسِكَ اليد ، لكنه أنفق فى أيام الغلاء بمصر أموالاً عظيمة جدًا ، وتصدَّقَ على أهل الحاجة بشيء كثير ، ثم فى العام [الذى](٢) بعده فى الفَنَاءَ كفَّن ثلاثمائة ألف إنسان من الغرباء ، وكان كثير الصدقة فى أيام مرضه ، يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه ، وما يحبه من أمواله ، وكان كثير الأكل مع كثرة صيامه ، وكان يأكل فى اليوم الواحد أكلات جيدة ، ثم بعد كل حال يأكل وقت النوم من الحلوى السكرية اليابسة رطلا بالدِّمَشْقِى ، توفى فى جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة .

الثامن : الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، كان ملكاً ذكيًا مهيبًا

(١) كذا فى الأصل . والصحيح « ضيفة خاتون » وقد ولدت فى سنة ٥٨١ هـ أو سنة ٥٨٢ هـ بقلعة حلب حين كان أبوها ملكاً لحلب . وكان عند أبيها ضيف فسماها ضيفة .

هامش د . الشيال على مفرج الكروب لابن واصل ٣ : ٢١٢ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

ذا بأس شديد ، عادلاً منصفًا . قال ابن خلكان : كان سلطانًا عظيم القدر ، جميل الذكر ، محبّ العلماء والفقراء ، متمسكًا بالسنة النبوية ، معاشرًا لأرباب الفضائل ، يبيت عنده كلّ ليلة جمعة جماعة من العلماء ، ويشاركهم فى مباحثهم ، ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن ، وقد بنى [قبّة][1] على ضريح الإمام الشافعى رضى اللّهُ عنه ، ودفن أُمّه عنده ، وأجرى إليها ماءً من النيل ، وغرم على ذلك جُملةً عظيمة . قال ابن واصل[2] : كان الملك الكامل كثيرَ الحلم والإغضاء حتى إن بعض الشعراء هجاهُ مِرَارًا كثيرة فلم يلتفت إليه حتى تجرأ ذلك الشاعر وقال :

وما تَرْكُهُم للقتل حِلْمًا وإنما يَرَوْن بقاءَ المرءِ فى عصرهم أشقى

وبلغ ذلك الملك الكامل فلم يعاقبه وعفا عنه ، وكان من عدله ألاّ يتجاسر أحد أن يظلم أحدًا . شنق جماعةً من الأجناد أخذوا شعيرًا لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الرّكبْدَاريّة[3] أن أستاذه استعمله ستة أشهر بلا أُجرة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٢٩ ، وقد جاء فى الهامش : وقد أنشأها الكامل فى سنة ٦٠٨ هـ ، وجددها الأشرف قايتباى والسلطان الغورى ثم أمير اللواء على بيك الكبير دفتر دار مصر سنة ١١٨٥ هـ .

(٢) هو جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ . وهو مؤلف كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب .

(٣) الركبدارية : ويتبعون بيت الركائب الذى تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها ، وهم يحملون الغاشية بين يدى السلطان فى المواكب الرسمية .
القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ٧ و ١٢ .

فأحضر الجندى وألبسه ثياب الرَّكَبْدَار ، وألبس الرَّكَبْدَار ثياب الجُنْدِى ، وأمر الجُنْدِى أن يَخْدُمَ الرَّكَبْدَار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الرَّكَبْدَار الموكب والخدمة حتى ينقضى الأجل ، فتأدَّب النَّاسُ بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاءُ فى ردّ ثغر دِمْيَاط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج ، وبنى مدينةً عند مفترق البحرين وسمّاها المنصورة ، ونزل بها بعساكره ، ورابط الفرنج أربع سنين حتى استنقذ دِمْيَاط منهم .

ومن شعره يستحث أخاه الأشرف(١) من بلاد الجزيرة :

يا مُسْعِفِى إنْ كُنْتَ حَقًّا مُسْعِفِى
فارْحَلْ بِغَيْرِ تفنُّد وتَوَقُّفِ
واطوِ المنازل والديار ولا تُنِخْ
إلاَّ على باب المليك الأشرف
قَبِّل يَدَيْهِ لا عدمت وقل له
عني بحسن تعطف وَتَلَطُّفِ
إن مات صِنْوُكَ عن قريب تلْقه
ما بين حدِّ مُهَنَّد ومثقف
أو تُبْطِ عن إنجادِهِ فلقاؤه
يومَ القيامة فى عِرَاض الموقِفِ

(١) هو الأشرف مظفر الدين موسى أبو الفتح بن محمد العادل ، ولد سنة ٥٧٨ هـ بالقاهرة وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ هـ .
الزركلى — الأعلام ٣ : ١٠٨٤ .

وهو الذى بنى بالقاهرة دارَ الحديث بين القصرين يقال لها الكاملية(١) ، [و](٢) كانت مدة ملكه لمصر – نائباً عن أبيه ومستقلاً بعده – نحواً من أربعين سنة ، وعمره حين توفى نحو ستين سنة ، وكانت وفاته بدمشق فى شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة .

التاسع : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن أيوب بن مَرْوَان ، كان ملكا مُهَابًا ، عالى الهمة ، عفيفاً طاهر اللسان والذَّيل ، شديد الوقار ، كثير الصمت ، جمع من المماليك التُّرْك مالم يجمع غيرُه من أهل بيته ، [و](٣)كان أكثر أُمراءِ العسكر مماليكه ، وتسلطن من مماليكه جماعةٌ منهم الملك المعز أَيْبَك التُّرْكُمَانى ، والسلطان الملك المظفر قُطُز ، والسلطان الملك الظاهر بِيبَرْس ، والسلطان الملك المنصور قَلَاوُن .
ورتَّبَ جماعة من المماليك حول دهليزه(٤) وسمّاهم البحرية ، وكان لا يجسر أحد أن يخاطبه إلا جوابًا ، ولا يتكلم أحد بحضرته

---

(١) الكاملية : أنشئت سنة ٦٢٢ هـ . وهى ثانى دار عملت للحديث والأولى دار الحديث النورية التى بناها نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، وقد أوقفها الكامل على المشتغلين بالحديث النبوى ومن بعدهم على فقهاء الشافعية ، وهى موجودة إلى اليوم بشارع بين القصرين بجوار مسجد السلطان برقوق من بحريه وتعرف باسم جامع الكاملية أو جامع كامل .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٢٩ .
(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة عن الأصل .
(٤) الدهليز « هو خيمة السلطان وترافقه فى الحروب أو فى الصيد والتنزه » .
دوزى : تكملة المعجمات العربية .

ابتداءً ، وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدَّام . فيكتب عليها بيده وتخرج للموقعين[1] ، وكان لا يستقل أحدٌ من أهل دولته بأمر من الأمور إلا بعد مشاورته بالقصص ، وكان غاويًا بالعمارة ، وبنى الصالحية وهى بليدة بالسانح[2] ، وبنى له بها قصورًا للتصيّد ، وبنى قصرًا عظيمًا بين مصر والقاهرة وسمَّاه بالكبش[3] ، وبنى المدرسة الصَّالحية[4] بين القصرين ، ورتّب فيها المذاهب الأربعة ، والآن فيها القضاة الأربعة من أربعة مذاهب ، وبنى بحذائها التربة له ، وكانت أُم الملك الصالح جارية سوداء تسمى وَرْد المُنَى ، غشيها السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح ، وكانت مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يومًا ، توفى على المنصورة فى منتصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة ، وكان مُرَابطًا بها لأجل الفرنج .

---

(١) الموقعون : هم الذين يكتبون المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى .
القلقشندى : صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥ .

(٢) السانح : يطلق على منطقة الأراضى الواقعة على جانبى الترعة السعيدية بين ناحيتى سوادة والصالحية بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية وقد بنيت الصالحية سنة ٦٤٤ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ والهامش .

(٣) قصر الكبش : على الجبل بجوار جامع ابن طولون .
السلوك للمقريزى ١ : ٣٤٤ و ٣٤٢ .

(٤) كانت هذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة وقد بقى منها واجهتها وعليها المئذنة وتشرف على شارع بين القصرين .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ .

فكما أَن السلطان المَلك الصالح تاسع السلاطين من بنى أَيُّوب فكذلك مولانا السلطان الملك المؤيّد تاسع سلاطين الترك ، فنرجو من الله تعالى أَن تكون أَيامُه سعيدةً كما كانت أَيامُ السلطان الملك الصالح ، ويُعْطَى من الخيرات وبَسْط الملك ما أُعْطِى ذاك ؛ إنه على ما يشاءُ قدير ، وبالإجابة جدير .

الباب السادس

في استحقاق السلطنة

وهو يشتمل على عشرة فصول